الفصل الثاني
الحرف والصناعات التقليدية بين النشأة والتطور

تمهيد :-

إن الذي دفع الدارسة إلى كتابة هذه المقدمة التاريخية ان تعرف العلاقة الوثيقة التي تصل بين الأنثروبولوجيا وعلم التاريخ ، فإن الظاهرة الاجتماعية لا تولد من فراغ ، فإذا كانت الظاهرة الاجتماعية الآن هي مجال اهتمام الأنثروبولوجيا فإن تفسيرها وتحليلها يتطلب إدراك جذورها وأصولها ، وهذا هو موضوع علم التاريخ ، وإذا كان هذا الربط ضروريًا في دراسة ظواهر الأنثروبولوجيا فإنه أكثر ضرورة في دراسة الحرف والصناعات التقليدية ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الصناعات الصغيرة والحرفية في مصر قد احتلت منزلة رفيعة منذ أقدم العصور وأنها قد خلفت وراءها آثارًا متعددة في الصناعات .

سوف نعرض في هذا الفصل مراحل التطور التاريخي للحرف والصناعات التقليدية ونعرض من هذه الصناعات صناعة (الفخار - النسيج - الزجاج الجلود - المعادن) وهي الصناعات التي لها أهمية في مجال السياحة مع معرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية للحرفيين التي من خلال عرضها التاريخي تبرز لنا أهمية الحرف كوسيلة تتغلب بها على مشكلات البطالة والفقر . ولا تزال الجهود المبذولة في هذا الصدد تقوم بدور فعال في مصر لتنمية هذه الصناعات حتى تتواكب مع متطلبات السياحة الخارجية والداخلية ، وقد ساعد انتشار منتجات الحرف على إحياء تذوق التراث الذي كاد يضيع معالمه ، بعد عمليات الإغراق الناجمة عن استيراد التحف الصينية المصنعة بالجملة تحت مظلة العولمة، بل إن هذه المنتجات التراثية قد وجدت طريقها إلى الأسواق الأوربية والآسيوية في المحافل العالمية .

ومع التطور التاريخي للمجتمع المصري تعايش النظام الحرفي مع الأنشطة الفرعية الأخرى حتى صار جزءًا لا يتجزأ من ثقافة أي مجتمع تقليدي، وقبل الثورة الصناعية كان النظام الحرفي هو الدعامة الاقتصادية الرئيسية التي تلبي احتياجات الأفراد وتفتح لهم مجالات العمل وخلال الحقب التاريخية المتعاقبة تعرض النظام الحرفي لمؤثرات خارجية تتفاوت قوتها من مجتمع إنساني إلى آخر كما تتفاوت أيضًا وفقًا للمتغيرات السياسية والاقتصادية والعملية داخل المجتمع الواحد .

ومع ظهور السياحة في العصر الحديث وإقبال السائحين على الحرف والصناعات التقليدية كتحفة فنية وهدايا تذكارية من البلد المضيف. التي تحمل في طياتها ثقافة هذا البلد وتراثه . وقد دخلت على هذه المنتجات التكنولوجيا العصرية حتى تجمع بين عراقة القديم وتكنولوجيا الحداثة . ولذلك لمواكبة هذا العصر والعمل على تطور السياحة المصرية لما تحمله مصر من فنون وابتكارات وإبداعات حرفية لها معان تاريخية .

التطور التاريخي للحرف والصناعات التقليدية

أولاً: صناعة الفخار:-

تعريف الفخار في المعاجم العربية :

الفخار هو أوان تصنع من الطين ثم تحرق . **والخزف**:ما صنع من طين وشوى بالنار فصار فخارًا ، ثم يدهن بالجليز، ثم يحرق للمرة الثانية .

وفي المصباح المنير:كان يعني بالفخار الطين المعمول آنية فإذا شوى فهو فخار .

والخزف: الطين المشوى فإذا دهن بالجليز وشوى مرة أخرى فهو خزف .[١]

التطور التاريخي لحرفة صناعة الفخار :-

العصر الفرعوني :- بدأت الحضارة في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ اعتبر المصريون القدماء منذ أواخر العصر الحجري القديم (١٠ آلف عام قبل الميلاد) بأنهم أمة قائمة بذاتها وأطلقوا على أنفسهم أهل مصر أو ناس الأرض .[٢]

وليس من قبيل التعسف التاريخي أن نعتبر مصر هي رائدة هذه الحرفة عبر التاريخ الإنساني الممتد ، لذا فلا غرابة أن نبدأ بالمصري القديم كمنطلق للتطور الزمني لحرفة صناعة الفخار كواحدة من ألمع حرف ذلك العصر الذي تميز بالمهارة الفائقة وارتقاء الحس الجمالي من تنوع في الأشكال والأنماط والزخارف .

عرف المصريون القدماء الفخار والخزف منذ عصور ما قبل التاريخ أشكالاً متنوعة من الأواني الفخارية ، وقد استخدموه في صناعة أواني حفظ الماء والنبيذ والزيوت، والحبوب . كما صنعت منه بعض التمائم والعقود وبلاطات صغيرة ملونة ، وعرفوا الزخارف البارزة بالطينات الملونة والزخارف من فوق الطلاء.[٣]

وقد تميز الفنان المصري بصنع إناء من الخزف المزخرف يمثل نموذجًا من الأطباق التي شاع وضعها في المقابر أثناء الأسرة ١٨. قاع الإناء يمثل حوضًا أو بركة تنمو فيها الأزهار وتسبح فيها الأسماك . وفي الوسط مربعات تمثل البركة حيث يظهر من

---

١ - عامر الورائي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر . الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤).

2 - http:// www.sis.eg 2006/3/28

٣ - سامي ورق سنباي ، تاريخ الزخرفة - للصناعات الزخرفية والنسجية (القاهرة ، دار الشرق ، ١٩٩٩، ص٩٨)

جوانبها أشكال من زهور اللوتس ، وعلى الجانبين المتقابلين أسماك سابحة تمسك بفمها براعم زهرة اللوتس . وعلى الجانبين الآخرين رسم متقن لأغصان نخيل مروحية الشكل . وهذه العناصر كلها في حقيقتها رموز للميلاد والبعث [١]

كما يوجد إناء فخار صغير مصبوغ باللونين الأحمر والأسود من مقبرة (ناكادا) . وقد صنع هذا اللون الأسود في قمة الإناء من خلال انه تعرض للنار وهو مقلوب رأسًا على عقب ومسدود بالرماد ويسمح للهواء بالوصول إلى جسم الإناء . كما وجدت زهرية فخارية من العصر (الأمراشي) لونه أحمر مع خطوط زخرفة بيضاء أفقية مائلة من عصر ما قبل الأسرات .[٢]

ومهر المصريون منذ أقدم العصور في صناعة الأواني الفخارية، وجعلوا ألوانها جميلة براقة ونقشوا عليها الرسوم والمناظر المختلفة . وتدل صناعة تلك الأواني على الذوق الرفيع . كما تشير إلى ما بلغه الصانع المصري من جودة الإتقان والبراعة في الزخرفة والتلوين .[٣]

ومن فنون المصري القديم وعاء من الفخار مكتوب عليه اسم الملك (كا) من العصر ما قبل الأسرات الحديث وهو واحد من الحكام في عصر التوحيد حوالي عام (٣١٥٠ ق.م) وجد في مقبرة أبيدوس .[٤]

كما مهر الفنان المصري القديم في عمل الزهريات الفخارية . فهناك زهرية من الفخار ذات سطح ناعم لامع تعود إلى الثقافة (البدارية) الألفية الخامسة قبل الميلاد ، وزهرية من الفخار مزينة بخطوط هندسية بيضاء ترجع إلى عصر ماقبل الأسرات . وزهرية من الفخار من العصر الثاني النقادي ، مصممة على شكل الصخور في العام (٣٤٠٠ ق.م). وزهرية فخارية مزينة بمناظر جميلة مثل المراكب ، وحيوانات وأشكال للإنسان . منها امرأة ترقص وهي ترفع يديها على رأسها . كما اكتشف في مقبرة الملك خاسيخيموي

---

1 - Francisco Jose Martin Valentin &other , Egypt Cradle of Civilization (Mond , Prisma Industria Grafica S.A. ,P 20 , 1992)

2 - Cyril Aldred , Egypt to the end of the old Kingdom (London ,Thames and Hudom Ltd, 1992, 1992, P 26) .

٣ - محمد مختار جمال الدين وآخرون ، مصر وحضارات العالم القديم , (القاهرة ، أم القرى للطباعة ، ٢٠٠٦م ، ص٥٧).

4 - A.J.Spencer , Early Egypt The Rise of Civilisation in The Nile Valley (London, the trustees trustees of the British Museum , , 1993,P 50)

(Khasekemwy) إناء معطى بطبقة رقيقة من الذهب وما زال سلك من الذهب تتبع العصر الأسرات عام (٢٧٠٠ ق.م) من مقبرة أبيدوس .[١]

إن الفنان المصري قد ابتكر العديد من الأواني الفخارية التي لا خلاف عليها فنًا وإبداعًا والتي احتلت العديد من المتاحف الفرعونية داخل مصر وخارجها عارضة الفن المصري على أعلى مستوى . ومع تنوع الفنان الفرعوني إلا أن الفن الروماني كان استكمالاً للفن الفرعوني في مصر.

وفي العصرين الروماني والإغريقي : نجد فخار العصر الإغريقي في مصر يتميز بالبساطة الزخرفية الرقيقة . بينما يتفرد فخار الحقبة الرومانية بعجينته الحمراء وزخارفه البارزة السوداء .[٢] جلب الإغريق إلى مصر في بداية العصر البطلمي معهم عادة عادة حرق جثث موتاهم ، وحفظ رماد هذه الجثث في أواني مخصصة لذلك . وكان النموذج الأكثر شيوعًا ، القدر الواسعة ذات المقبضين والمسمى "هايدريا Hydria " وقد وجد عدد كبير من هذه القدور في مقابر الإسكندرية الخاصة باليونانيين ، وقد كانت هذه القدور تزخرف عادة بمناظر من الأساطير القديمة أو الزخارف الحيوانية والنباتية أو الهندسية.[٣]

وفي العصر البيزنطي : نرى فخار العصر القبطي الذي شهد ازدهارا كبيرًا نظرًا لأن الرهبان كانوا يعملون بأيديهم في هذه الصناعة داخل الأماكن الخاصة بجوار الأديرة ، وتحفل الفخاريات القبطية بالعديد من الزخارف الرمزية المرتبطة بالحس العقائدي المسيحي والطابع الشرقي الذي ساد ثقافة مصر في هذه الآونة بعد تغلغل السمات الهلينية القائمة على الشغف بالمرئي والميل لمحاكاته .[٤]

وقد برع المصري في صناعة الفخار منذ عصر الأسرات حيث صنع منه أدوات الطبخ وحاويات لحفظ السوائل والحبوب على اختلاف أنواعها . ولقد تميز الفخار في العصر القبطي بكثير من سمات فن العصر الروماني وتلك السمات كانت سائدة في مصر القديمة قبل ذلك ، وكانت الأديرة والكنائس تستعمل الأواني الفخارية الكبيرة ، خصوصًا

---

1 - Ibid , P.27.

٢ - عامر العراقي، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٦ .

3 - Francisco Jose Marun Valentine &other , Egypt Cradle of Civilization (Mand , Prisma Industrial Grafica S A., 1992 ,P 60).

٤ - عامر العراقي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦

في حفظ النبيذ الخاص بالقداس، وكانت معظم هذه الأواني مزخرفة بأشكال تمثل الحيوانات الأليفة أو المتوحشة والطيور والبجع والحمام والأسماك النيلية وغيرها من الأشكال الرمزية ، بينما يحمل البعض الآخر صورة قديس أو راهب.(١)

ومن الملاحظ أن الفن القبطي والفن الروماني واليوناني انتشر في أنحاء العالم، وهذا يرجع للحروب والاستعمار الذي غزا حياة المجتمع وكان هذا الغزو يحمل في طياته العديد من الفن والإبداع ، ثم جاء الإسلام بعقيدته وسنة -الرسول صلى الله عليه وسلم - حاملاً معه فنونه وزخرفته.

العصر الإسلامي : أما العصر الإسلامي فقد استطاع أن يضيف إلى هذه الحرفة كثيرًا من عناصر الإبداع ، على مستوى النمط الجمالي نفسه ، وأيضًا على صعيد التطوير في توظيف الخامة لصالح شكل نفعي جديد ، وما يعنينا هنا هو مدينة الفسطاط (مصر القديمة) والتي أمدتنا أطلالها منذ وقت طويل بنماذج لفنون خزف الشرق الأدنى تضيء الفترة ما بين العصر القبطي والقرن السادس عشر فقد كان هذا مؤشرًا على تطور هذا الفن في بلاد الشرق الأدنى وعلى الأخص العراق وإيران . ومن أبرز ما تميز به خزف الفسطاط هو النوع ذو البريق المعدني حتى أن البعض ذهب إلى أن جميع قطعه صنعت في مصر.(٢)
(٢).

عرفت مصر في العصر الإسلامي صناعة الأواني الفخارية السوداء لاستخدامها في نقل الزئبق وفي تحضير الأدوية ، وكذلك قوارير النفط التي شاع استعمالها خاصة في أوقات الحرب.(٣)

وقد كان للفن الإسلامي إضافات لكثير من عناصر الخلق والإبداع فاكتسب فن صناعة الفخار أنماطًا وأشكالاً جديدة ويظهر ذلك في الكم الهائل من المنتجات الفخارية من أكواب وأباريق ، وقدور وشمعدانات .(٤)حيث نري أن الفخار الإسلامي لم يقتصر

---

١ - محمد يسري دعبس , القاهرة سحر الشرق وعبق التاريخ - دراسة في أنثروبولوجيا السياحة (الإسكندرية , الملتقى المصري للإبداع والتنمية , ٢٠٠٤،ص٧٣) .

٢ - عامر الورقي ,موسوعة الحرف التقليدية في مصر , مرجع سبق ذكره , ص١٧.

٣ - السيد طه العبد ادو سديرة , الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٣٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ – ١١٧١م) (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩١ , ص١٢٧)

4 - http:// www.sis.eg 2006/3/28

على الخزف وصناعته بل أضيف له العديد من الألوان والاستخدامات التي تناسب حياة الإنسان اليومية

كانت صناعة الفخار من الصناعات المصرية القديمة . وفي العصر الفرعوني استخدم الصلصال في صناعة الأوعية الفخارية وغيرها على نطاق واسع فقد كانت صناعة الفخار منتشرة في الوجه القبلي ، وخاصة في الصعيد الأعلى وبالقرب من مدينة أسوان حيث هناك يعرف "بجبل الطفل" بسبب صناعة الفخار وكان المصريون يصنعون من مادة الطفل الأزيار والقلل المستخدمة في حفظ الماء [١]

مر صناعة الإناء الفخاري خلال اربع مراحل منها عجن الطين، وتشكيل الإناء ، ثم تجفيفه ، وأخيرًا حرقه . وقد تطورت صناعة الفخار من الصناعة اليدوية إلى استخدام عجلة الفخار التي استخدمت على نطاق واسع في صناعة الجرار الفخارية الكبيرة خاصة في المصنع الملكي . وقد تعددت أنواع وألوان الفخار فمنها الفخار البني والأسود والأحمر والرمادي والسنجابي والبرتقالي . [٢]

وقد استطاع الصناع في مراكز صناعة الخزف في مصر أن يبتكروا أنواعًا جديدة من الخزف كالأطباق والصحون العميقة والمسطحة التي كانت تستخدم في الطعام ولا ريب أن المسلمين قد شجعوا هؤلاء الصناع حيث زاد الإقبال والطلب على الأواني الخزفية التي وجدوا فيها عوضًا عن الأواني الذهبية والفضية التي أنكر الإسلام استعمالها ، فقد مهر المصريون في صناعة الخزف بأساليب متعددة وعرفوا الوقت المناسب لعمل أواني الخزف من السنة. وكما يذكر المقريزي فإنه اختص شهر أمشير من الشهور القبطية بصناعة أواني الماء ، فإن ما عمل فيه من هذه الأواني الخزفية يبرد الماء في الصيف أكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور . [٣]

ولعلنا نلاحظ أن العصر الفاطمي ظهرت فيه العديد من الابتكارات في الأواني الفخارية خاصة الرسوم المنقوشة والمزخرفة .

---

١ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ص١١١ -١١٢

٢ - أنور عطيه العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة (دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٣ ، ص ص٢٢ -٢٣) .

٣ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) - مرجع سبق ذكره ، ص ص١١٣ -١١٤ .

وفي العصر الفاطمي - جاء العصر الفاطمي وازدهرت معه صناعة خزف القيشاني (الفيانس) الذي كان يحمل رسومًا وزخارف رائعة بأشكال البشر والطيور والحيوانات والنباتات ، إلى جانب الأشكال الهندسية والخطوط الكوفية الفنية المتقنة . كما كانت تصور عليه بعض الأنشطة الاجتماعية اليومية ، وكانت تصنع في مصر الكئوس والقدور والأواني الطينية والأطباق وغيرها من المنتجات الفخارية . ثم تطلى بألوان تتغير لدى سطوع الضوء عليها ، ولقيت هذه الحرف اهتمامًا في عهد الأيوبيين .(١)

وفي العصر الفاطمي بلغ الخزف المصري درجة شديدة من الرقي وهو ينقسم إلى مجموعتين **الأولى** : ذات الرسوم المنقوشة تحت طلاء من لون واحد **والثانية** : ذات زخارف بالبريق المعدني .(٢)

شهد العصر الفاطمي تطورًا ملحوظًا في أشكال الأواني وإنتاج القدور ذات الأحجام المتوسطة والجرار الكبير ، كما انتشرت صناعة الأختام الفخارية لزخرفة الكحل وغير ذلك من الأغراض ، وكانت الإسكندرية تؤلف مراكز مهمة لصناعة التحف الفخارية الصغيرة المتخذة للزينة كأنواع الكئوس ذات الرسوم البارزة وكانت تغطى باللون الأصفر ، والجزء الداخلي فكان لونه يميل إلى الأصفر ، وهكذا أثبت الصانع المصري حرصه على أن يضفي على كل ما أخرجته يداه جمالاً زخرفيًا يبعث البهجة والسرور ، كما يشهد بحسن الذوق والمهارة .(٣)

من المعروف أن الخزف ذا البريق المعدني قد اختفى من مصر نتيجة لعدة عوامل لعل أبرزها وأهمها هو حريق مدينة الفسطاط أثناء النزاع بين وزراء الدولة الفاطمية (شاور وضرغام) ، مما أدي في النهاية إلى سقوط الدولة الفاطمية والقضاء على آخر خلافة إسلامية والقضاء على الذوق العربي الصميم .(٤)

ويعتبر العصر الفاطمي هو العصر الذهبي لصناعة الفخار وخاصة هذا النوع المعروف بذي البريق المعدني ، فقد عشق الفاطميون الآداب والفنون ، وشجعوا الصناع في

---

1 - http:// www.sis.eg 2006/3/28

٢ - عامر الوراقي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٧

٣ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٢٠ -١٢١

٤ - سعاد ماهر محمد ، الفنون الإسلامية (القاهرة ، الهيئة العصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦، ص٤٩)

كل ميدان لابتكار أدوات الترف والنعيم . وتشير المصادر إلى ازدهار صناعة الخزف بأنواعه المختلفة في كل من الفسطاط ثم القاهرة والإسكندرية والفيوم

وفي العصر الأيوبي : اقتبس فنانو العصر الأيوبي الرسوم الحيوانية المحورة من الفن السلجوقي والذي تأثرت به كافة الفنون والصناعات بالشرق الأدنى .[١]

وفي العصر المملوكي : استمر إنتاج الخزف المصري ذي البريق المعدني حتى العهد المملوكي في القرن الرابع عشر ، في نهاية العصر المملوكي حدث تدهور شديد في صناعة الخزف والفخار إذا قورن بأول العصر نفسه [٢]

وفي العصر العثماني : ومع بداية العهد العثماني كانت مصر تتعرض لعملية سطو كبرى تمثلت في تهجير معظم الحرفيين إلى الآستانة وعلى الرغم من هذا فقد وصلنا بعض من الخزف التركي الذي تأثر كثير بالخزف الإيراني والصيني في أساليب الزخرفة وبناء الأواني نفسها وقد تدهور الخزف التركي بعد ذلك في القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من هذا فإن مصر ظلت دائمًا قادرة على تحديد عافيتها الإبداعية وإحياء ذاكرتها الحرفية والتاريخية [٣]

أما العصر الحالي : يعتبر الفخار هو صناعة قديمة لا تختلف كثيرًا عن الحاضر حيث يستخدم الصانع نفس الخامات التي كانوا يستخدمونها في الماضي ولكن الصانعين في الماضي، كانوا يهتمون أكثر بالنواحي الفنية. فقد كان الفخار في القديم عليه أشكال وألوان وديكور ، مثلاً في مدينة الفسطاط كانوا يصنعون الأكواب والسلاطين والأطباق ويزينوها بالألوان، ولكن من قرن ماضي أصبحت صناعة الفخار في بعض الحرف هي صناعة لمجرد إشباع الاحتياجات الضرورية من أواني للشراب والأكل والطهي وتخزين الحبوب وخاصة في الصعيد .[٤]

أما الآن فقد اشتهرت صناعة الفخار بأشكال فلكلورية صغيرة ، فيرسم مثلاً الفلاح والقرية المصرية والعديد من الآثار المصرية ، بالإضافة إلى الألوان المبهرة ، علاوة

---

١ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص١٧.

٢ - عامر الوراقي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٧.

٣ - عامر الوراقي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٧.

4 - Denise Ammoun , Crafts of Egypt ,(Cairo , The American university in cairo Egypt , 1991 P59)

على إبداع الصانع ، وبذلك يحافظ الحرفي على تقاليد بلده ويصورها في أعماله . وهناك صناع آخرون طوروا من أنفسهم وأقاموا معارض في الحرانية ومصر القديمة وخان الخليلي، حيث يضعون فيها صناعاتهم الفخارية وهي ليست مجرد فخار ولكنها تحف فنية والدليل على نجاحهم في هذا هو الإقبال الكبير من السياح على مثل هذه المصنوعات

ثانيًا: صناعة النسيج :-

تعريف النسيج:-

هو فن تعاشقات الخيوط على النول ، ويتكون المنسوج من مجموعة خيوط طويلة يطلق عليها اسم السدي أو السداء ، تتقاطع مع خيوط عرضية تعرف باسم اللحمة تقاطعًا منتظمًا ويختلف المنسوج في مظهره ونوعه تبعًا لاختلاف تقاطع الخيوط وتركيبها (تركيب النسيج) .[1]

تعريف حرفة الأزياء الشعبية :-

حرفة الأزياء الشعبية هي تحويل الأقمشة المصنوعة من خامات مختلفة إلى ثياب، وذلك عن طريق قص القماش إلى قطع ذات مقاسات محدودة وفقًا للنمط المطلوب وحجم البدن ، ثم وصل هذه القطع معًا بالخياطة المحكمة . أما التطريز فهو التعامل مع جسم القماش ببعض الخيوط في تنويعات نقشية تضيف إلى الثوب طابعًا جميلاً يشير غالبًا إلى الملمح الثقافي البيئي ، وهو يتشر في أنحاء مصر المختلفة بثقافتها المتعددة والتي تصب في بوتقة التجانس التاريخي والاجتماعي لوطن واحد .[2] وسوف ننتقل للتطور التاريخي لحرفة صناعة النسيج عبر العصور التاريخية التي مرت بمصر.

التطور التاريخي لحرفة صناعة النسيج :-

العصر الفرعوني : اعتمد المصري القديم في البداية على الزراعة كعماد للحضارة المصرية القديمة ، وكان الكتان هو النبات الوحيد الذي استعملت ألياقه في صناعة النسيج طوال عصور مصر الفرعونية للاعتقاد السائد ، وقتئذ أن " أوزير " كفن بالكتان بعد موته .

---

١ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، القاهرة ، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ص٩٨) .

٢ - وداد حامد ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥، ص١٤٨) .

وقد عرف المصري القديم استخراج الأصباغ من نباتات النيله ، والعصفر المستخرج من زهر القرطم ، وقد عثر على اسمه منذ عهد " تـيتي " من الأسرة السادسة [١] ، ومن هنا عرفت أهمية الكتان في صناعة المنسوجات ولقد سجل العصر الفرعوني عمليات صناعة الغزل والنسيج على جدران بعض مقابر الدولة الوسطي والحديثة ، كما عثر في طيبة على نموذج يمثل بعض النساء وهن يقمن بالغزل والنسج ، وهو موجود بالمتحف المصري تحت رقم (٦٠٨٩ CG) وكان الكتان والصوف والقطن والحشائش والنوص واقنب من المواد التي استخدمها المصري القديم لصناعة المنسوجات والملابس .[٢]

ومن الجدير بالذكر أن المصريين أول من اكتشف صناعة النسيج على ضفاف النيل ، وعلى حسب ما ذكر في أسطورة إيزيس أن اختراع طريقة الغزل تعود إليها ، فهي واحدة من أشهر الآلهة التي ذكر أنها تعلمت استخدام الغزل وتحت رايتها تم صنع النول ، وتعتبر مصر على ذلك واحدة من مراكز صناعة النسيج في العالم القديم .[٣]

ترجع أهمية النسيج في مصر القديمة إلى ما قبل التاريخ ، وبهذا تكون مصر أولى البلاد التي نشأ فيها ولم تكن النسجيات المرسمة مجهولة في العهود الفرعونية وإن كنا لم نجد منها غير القليل عثر عليه في مقبرة تحتمس الرابع وفي رداء كان لتوت عنخ آمون ، وفي هذا ما يدل على أن تلك الصناعات كانت مقصورة على القصور والمعابد في العصرين الفرعوني والبطلمي ، حيث أبيح للشعب استخدام تلك النسجيات وشاع استخدام الصوف منذ عهد البطالمة حيث شاع تشكيل الرسوم وتلوينها وأصبحت صناعة شعبية ، ثم أخذت في الازدهار منذ القرن الثالث .[٤]

في مصر الفرعونية كانت صناعة النسج مقتصرة على النساء العاملات على أنوال توجد عادة داخل المنازل أو القصور ، وكانت ألياف الكتان بطبيعتها ذات ألوان باهتة ذهبية أو بنية أو خضراء ، إذا قطع محصول النبات في وقت مبكر ، واستخدم قدماء المصريين المغرة (أكسيد الحديد المائي المخروط بالطين) أو الأصباغ النباتية لتلوين

---

١ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص٩٩

٢ - أنور عطيه العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسه ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة ، مرجع سبق ذكره ص٢٢

3 - Denise Ammoun , Crafts of Egypt , Op. Cit. , P 25

٤ - ثروت عكاشه ، الفن المصري ٣ (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، ص١٤٣)

المنسوجات ، وكانت المواد النباتية المستخدمة في الصبغ تشمل الوسمة " نبات عشبي " للون الأزرق ، والفوة والقرطم للون الأحمر واستخدم التبييض أيضًا لصناعة المنسوجات البيضاء التي كانت تعبر عن المكانة الاجتماعية الرفيعة والنظافة .[١]

نسج المصريون ملابسهم من الكتان وكانت نساؤهم يغزلن وينسجن في مهارة فائقة ، وقد صنع المصريون أقمشة خشنة متينة وأخرى رفيعة غاية في الرقة ، وكانت عملية الغزل تتم بمغازل من خشب أما عملية النسج فكانت تتم بأنوال تشبه الأنوال اليدوية الآن .[٢]

أما صناعة الصوف ، فإنه كان قليل الأهمية في العصر الفرعوني وذلك لعدم صلاحية صوف الأغنام المصري للغزل في أغلب الأحيان ، ولاعتقادهم بعدم طهارته فقد كانوا ينسجون منه ملابسهم الخارجية التي كانوا يخلعونها عندما تطأ أقدامهم حرم معابدهم ، بينما كان يرجع عدم اهتمام قدماء المصريين بالحرير لأنه عرف عند الصينيين طرق غزل ونسج الخيوط المستخرجة من شرائح الحرير ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انقطاع الصلة التجارية بينهم وبين الصين ، أما بالنسبة للقطن فقد ذكر هيرودت سنة ٤٥٠ ق.م "أن الملك أحمس أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، أصدر إلى معبد حزيرتي ساموس ولاندوس قميصين (صديرين) مشغولين من الكتان والقطن معاً وكان يعبر عن القطن بصوف الصوف" ، وقد جاء ذكر القطن في حجر رشيد ، حيث أشير إليه بأنه نبات يعرف باسم "الجوسيبون " .[٣]

لقد نسج المصريون القدماء أرق المنسوجات من ألياف الكتان واستخدموه في الملابس والمفروشات الخفيفة وأغطية التدفئة ، ومفروشات الأرضيات وصناعة الحبال ، واستخدموه في وسائل زخرفة المنسوجات كأسلوب النسيج والصباغة ، والتطريز بالخيوط الملونة والخرز ، وأسلاك الذهب والفضة .

---

1 - http:// www.sis.eg 2006/3/28

٢ - محمد مختار جمال الدين وآخرون ، مصر وحضارات العالم القديم ، مرجع سبق ذكره ، ص٦٠

٣ - سعاد ماهر محمد ، الفنون الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٦٦ -٦٨.

العصران البطلمي والروماني : وقد امتد التألق النسيجي حتى العصرين البطلمي والروماني وكان احتكار الدولة مصانع النسيج دافعًا لظهور أنماط محلية من هذه الحرفة . ولـذا ازدهـرت المنسـوجات الكتانيـة والصـوفية وطغـت علـى المنسـوجات القطنيـة والحريرية.[١]

وفي العصر البيزنطي : تألقت وازدهرت حرفة النسيج وكانت من أهم منجزات الأقباط في مصر وخاصة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين حيث أنتجت مصانع النسيج أرقى أنواع الخيوط واستخدمت أسلوبًا عالي المستوى في طريقة نسجه مع خيوط الكتان والقطن والحرير، الأمر الذي نتج عنه تطور رائع في فن الزخارف وتنوع استخدام الألوان، ومن أشهر ابتكارات العصر القبطي ما يسمى بغزل الوشيعة الطائرة " flying shuttle " (وهو أسلوب فني يعين الإضافة بأسلوب المداة واللحمة).[٢]

ومن الزخارف الفنية القبطية رداء مزخرف وهو جزء من قميص من الكتان نسجت زخارفه بطريقة القباطي ، باستخدام خيوط من الصوف والكتان ذات ألوان متعددة ، وهذا الجزء عبارة عن مستطيلين يحيطان فتحة الرقبة ويتكون كل منها من شريطين يضمان وحدات زخرفية هندسية وأشكال آدمية وحيوانية .[٣]

وفي العصر الإسلامي: وقد استمر فن الأقباط حتى العصور الإسلامية مع إضافة عديد من الزخارف والفنون الإسلامية لإعطائها رمزًا من رموز الحضارة الإسلامية .

وأطلق العرب اسم " قباطي " على النسيج المصري وقد أظهر المصري مهارة فائقة وقتئذ ، ويذكر ابن إياس أنه كان من ضمن هدايا المقوقس للرسول (عليه الصلاة والسلام) كسوة من بيضات مصر ، وأن بعض الثياب بقيت عنده حتى أنه كفن في بعضها، وبعد الفتح الإسلامي لمصر احتكر العرب حرفة النسيج ، وأنشأت مصانع حكومية إلى جانب الورش الأهلية، وكان يطلق عليها (دور الطراز) وكانت تنقسم إلى قسمين هما:

١- الطراز الخاصة .

٢- الطراز العامة .

---

١ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص٩٩.

٢ - المرجع السابق نفسه، ص٩٩ .

3 - Francisco Jose Martin Valentin & other ، Egypt Cradle of Civilization ، Op. Cit. ،P 68 .

فالأولى: لم تكن تنتج إلا للخليفة وحاشيته ورجال بلاطه،وكانت تتبع بيت مال الحكومة.

أما الثانية : فكانت تنتج لأفراد الشعب . أما الورش الأهلية · فكانت هي الأخرى تحت رقابة الحكومة التي تمدها بالمواد الخام وتحدد السعر بمعرفة موظفي دور الطراز، بعد الترخيص لصاحبها وفرض ضرائب عليها . وقد كانت المنسوجات في أوائل العهد الإسلامي تصنع وفق الأساليب القبطية والساسانية . ثم أخذ النمط الإسلامي يستقل تدريجيًا ويسود جميع البلاد التي خضعت لحكومة العرب [١]

ومن هنا نوضح أن ليس كل عمل نسجي إسلامي يمكن اعتباره عملا فنيا ولكن عددا كبيرا من الأنسجة التي تتطعم بخيوط من الفضة والذهب أو الحرير كانت تصمم كعمل فني إلى جانب تصديرها والتجارة بها . فلقد لعبت صناعة النسيج دورًا مهمًا في العصور الإسلامية يزيد على الدور الذي تلعبه في الوقت الحاضر . فقد استوعبت عمالة أكبر مما تستوعب أي حرفة أو مهنة أخرى . إذ كان لكل منطقة لمساتها المختلفة في النسيج ، والعامل المهم من هذه اللمسات هو اختيار الألوان التي تسود النسيج الذي يصنع في منطقة معينة بحيث يكون مختلفًا عن هذا الذي يصنع في منطقة أخرى . كذلك شجع مستوى الحرفية العالي الذي يتمتع به النساجون على إتقان هذه اللمسات . كما كانت الصناعات النسجية تناسب الطبيعة المزدوجة المجربة وشبه المجردة والتي كانت مفضلة في العصر الإسلامي في مصر.[٢]

منذ القدم استخدم العرب الكتان والحرير والصوف في المنسوجات وتنوع استخدامها كما تنوعت وسائل زخرفتها وصباغة ، وتطريزها بمختلف الألوان بل وبأسلاك الذهب والفضة ، والأحجار الكريمة .[٣]

حيث إن في عهود خلافة وولاية المسلمين اكتسبت الأقمشة المصرية استحسانًا عالميًا ، لجودتها وجمالها ، ولم يختلف هذا عن عصر الأموي بل زادت مراكز صناعة المنسوجات وسوف نوضح هذا في العصر الأموي :

---

١ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٠١.

2 - Robert Irwin ، Islamic Art ، Op. Cit.. ،P P. 157-158 .

٣ - سامي رزق بشاي ، تاريخ الزخرفة - للصناعات الزخرفية والنسجية ، مرجع سبق ذكره ، ص٤٠٨ .

وفي العصر الأموي : ذاعت شهرة دور الطراز بما أنتجته من منسوجات كتانية وحريرية ، وبالنسبة للأقمشة فقد اتخذت لحماتها من الحرير والصوف وسداتها من الكتان ، على أنه وجدت بعض الأقمشة كلها من الحرير ، وغالبًا ما كانت توشى بخيوط الذهب .[١] أدى هذا كله إلى تطور صناعة المنسوجات وإنشاء العديد من المراكز لصناعة المنسوجات ووجود العديد من الصناع المهرة كما اشتهر العصر الأموي بإنتاج أنواع معينة من المنسوجات البيضاء أو الملونة الرقيقة أو الثقيلة التي أقبل عليها الحكام العرب وغيرهم من سائر الرعية فضلاً على المصريين .[٢]

وفي العصر العباسي : تميزت منسوجات هذا العصر بالدقة والفخامة والمتانة ، وكان القماش يزين بشريط عريض عليه زخارف هندسية أو حيوانية تحف به من الجانبين . إضافة إلى الكتابات الكوفية التي كانت في أول الأمر عباسية ، ولكنها عندما بلغت الكمال والنضوج في العصر الفاطمي اتخذت تلك الكتابات شكلاً جديدًا سمي بـ" الكوفي المشجر " وهو الذي تنتهي بعض حروفه بتفريعات من المراوح النخلية .[٣]

وفي العصر الفاطمي : بلغت صناعة النسيج في مصر من الرقي والتطور بحيث أصبح من اليسير صنع الأقمشة الحريرية والصوفية والكتانية .

وأكبر مثال على الاهتمام بفن النسيج في العصر الفاطمي فيما يتعلق بدار الكسوة التي شيدت في عهد الخليفة المعز لدين الله ، حيث كان ينسج فيها ثياب الخليفة والأمراء والوزراء والحلل التي كانت تمنح للأشراف وكبار رجال الدولة في الأعياد ، خاصة عيد الفطر حتى سمي هذا العيد باسم " عيد الحلل " .[٤]

وقد تقدمت صناعة النسيج وراج إنتاجها بعد الفتح الفاطمي للبلاد واتخاذهم القاهرة مقرًا لخلافتهم ، ولا شك أن قطع النسيج المطرزة بالعبارات الدينية والدعائية بأسماء الأئمة التي بدأت دور الطراز في إنتاجها في أعقاب الفتح مباشرة ، كانت خير شاهد على ذلك .

---

١ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٠١

٢ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٠.

٣ - المرجع السابق نفسه ، ص١٠١.

٤ - إعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، الطبعة الأولى (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩١ ، ص ٨٤ -٨٥) .

ومن مظاهر تقدم صناعة النسيج أنها لم تقتصر على استخدام أنواع النسيج لعمل الملابس والكسوات، بل اتخذ المصريون من إنتاج المناسج ودور الطراز العامة أشباه لا حصر لها مثل الخيم والمضارب والحصون والقصور، وصنعوا من القماش المساند والمخاد والمراتب والبسط والمقاطع والستور والعصائب النسائيات والخرائط للسيوف من الديباج الأحمر والأصفر.[1]

وفي العصرين الأيوبي والمملوكي صارت الأقمشة أكثر زهدًا في الزخرفة وانتشرت غرزة السلسة والكتابات النسخية والكوفية المطرزة بالحرير متعدد الألوان، إضافة إلى شيوع الرسومات النباتية والحيوانية ورسوم الطيور.[2]

كما ازدهرت صناعة النسيج والعناية ونسج الحرير وتطريزه وتزين بالزخارف المطبوعة.

إن المنسوجات المصرية المصنوعة من الكتان في القرن السابع الهجري (١٣م) امتازت زخرفتها باستعمال الخط النسخ، ومن أجمل المنسوجات الأيوبية والمملوكية في مصر والشام منسوج من الحرير، وزخارفها متنوعة وبعضها يشبه الزخارف التي توجد على التحف الزخرفية المعدنية في هذا العصر، أما المنسوجات ذات الزخارف المطبوعة فقد ازدهرت صناعاتها في عصر المماليك وأجمل ما نعرفه منها يرجع إلى القرنين السابع والثامن بعد الهجرة (١٣ -١٤م)، وقوام زخارفها معينات تضم وريدات وفروع نباتية بالألوان الأزرق أو الأحمر أو البني.[3]

والسجاجيد التي صنعت في العصر المملوكي فقد كانت كبيرة الحجم ذات كثافة كبيرة إذ عدد العقد كان كبيراً، كما كان يستخدم فيها خيوط صوفية أو حريرية، وكان عدد ألوانها محدوداً يطغى عليها اللون الأخضر، والبني والأحمر ولقد أعطى كثافة العقد السجاد المملوكي مكانة رائعة، فكانت التصميمات قائمة على واحدة أو أكثر من

---

١ - السيد طه السيد أبو سديرة، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ/ ٦٤١ - ١١٧١م)، مرجع سبق ذكره، ص٥٢.

٢ - عبد المحسن الطوخي، موسوعة الحرف التقليدية في مصر، مرجع سبق ذكره، ص١٠٢

٣ - ثريا نصر، التصميم الزخرفي- في الملابس والمفروشات، مرجع سبق ذكره، ص٧٧

الميداليات توضع في منتصف السحاد، والتي يتشعب فيها ثماني نجوم أولاً على شكل ثماني الأضلاع والروايا ثم على شكل مربع [١]

من العرض السابق يتضح أن الثياب المملوكية أو غيرها من الثياب الفاخرة، تصنع من أقمشة نسجت على أنوال متناهية في الجمال فإن الأزياء الشعبية اعتمدت على ضروب من الأقمشة تشبه الأنواع القديمة من حيث الهيئة إلا أنها تخالفها اختلافًا جوهريًا من حيث الجودة والسعر.

وفي العصر العثماني: ازدهرت صناعة النسيج في الإمبراطورية العثمانية وكان أهم منتجاتها الديباج والمخمل (القطيفة) ومعظم هذه المنتجات النفيسة كان فيما بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (١٦ -١٨م) ، وقد امتازت المنسوجات التركية بالموضوعات الزخرفية النباتية، إذ أقبل النساجون على رسوم الزهور كالقرنفل والسوسن والورد وهذه الزخارف كانت موجودة على الخزف القيشاني قبل وجودها على الأقمشة ، أما الألوان التي كانت تغلب على المنسوجات التركية ، فكانت الأحمر والأخضر والأرجواني ، وكان يدخل في نسجها أحيانًا خيوط الفضة المذهبة .[٢]

وقد شهد العصر العثماني تأثرًا بالفنون النسجية التركية التي تميزه بطابعها المخملي المتشابه مع الطابع الإيراني المتأثر بالفن الإيطالي، وعلى الرغم من هذا فقد ظهرت له شخصيته الخاصة المتميزة باختفاء الكائنات الحية، لتبدو وتتجلى التفريعات الزهرية والمراوح النخيلية كامتداد للعهد المملوكي .[٣]

وانتقالا من ذلك يتضح أن الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني نشر فيها طائفة من قمصان لسلاطين آل عثمان ، ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ومنها تتضح ضخامة الزخارف المفصلة منها هذه القمصان الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في أن أنوالها كانت متناهية في السعة للتمكن من إظهار الزخارف على امتداد عرض الستور والقمصان التي كان يلبسها السلاطين في ذلك الوقت .[٤]

---

1 - Robert Irwin ، Islamic Art ، Op. Cit.. ،P 164 .

٢ - ثريا نصر ، التصميم الزخرفي: في الملابس والمفروشات، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨.

٣ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٠٢.

٤ - سعد الخادم ، الأزياء الشعبية ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٤

إن القاهرة في القرن الثامن عشر : كانت أحد المراكز الرئيسة لحياكة النسيج إذ كان يصنع بها كميات كبيرة ومتنوعة من نسيج الكتان وبالأخص نسيج القطن المسمى ("عجمي" ، "أمان" ، "مربع") ، فقد كان يوجد بالقاهرة في نهاية القرن الثامن عشر ٣٠ أو ٣٥ حرفيًا متخصصًا في صناعة غزل الحرير التي تسمى " دولاب فتّال " كما كان هناك عدد كبير من " قاعات الحياكة" .(١)

و مع بداية عصر محمد علي وظهور البعثات الأجنبية بدأ الذوق المصري ينزع إلى التغيير والتأثر بالنمط الأوروبي ، وهو ما أثر على معظم الحرف ومنها الأقمشة والأبسطة وبدأت تحدث القطيعة النسبية مع التراث ذي الدوافع البيئية والعقائدية والتاريخية ، وقد تجلى هذا التأثر واضحًا منذ عهد الخديوي إسماعيل وبنائه للقاهرة الجديدة على الطراز الغربي ، وبالتبعية تغير الذوق في الأزياء والمفروشات والستائر والأبسطة وغيرها. إلا أن ما يحمد لعصر محمد علي هو ظهور زراعة القطن وبالتالي فقد احتلت المنسوجات القطنية موقعًا مرموقًا في وجدان الشعب .(٢)

الاحتلال الإنجليزي : ومع الاحتلال الإنجليزي لمصر تضاعف التأثير الغربي على بعض طوائف الشعب فشغفت بالنمط الإنجليزي في الملابس، لاسيما وأن العائلة المالكة استمرت حتى عام ١٩٥٢ ، حتى قيام ثورة يوليو وحرصها على الاكتفاء الذاتي من الصناعة والزراعة بما ينشط صادراتها وتجارتها الدولية .(٣)

ومن الجدير بالذكر أن فترة الاحتلال البريطاني كانت ذات أثر سيئ على الاقتصاد المصري وعلى الحرفيين والصناع لما حدث من تدهور سياسي أدى إلى تدهور اجتماعي واقتصادي ترتب عليه اندثار العديد من الحرف .

وسوف يوضح الجدول هنا كمية المنتج للسحاد والكليم كنوع من أنواع النسيج مع توضيح الفترات التي زادة بها كمية الصناعة أم قلت .

---

١ - أندريه ريمون ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، ترجمة:ناصر أحمد إبراهيم ، ولخرون ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى (المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومى للترجمة ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٩٢) .

٢ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٠٣

٣ - المرجع السابق ، ص١٠٣.

جدول رقم (١٧)

المنتجات الرئيسية لصناعة (الكليم - والسجاد) في الأعوام الآتية (١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٠).

المنتج	السنة	الكمية بالمتر المربع	القيمة بالجنيه	% إلى إجمالي القيمة
كليم صوف يدوي	١٩٥٦	٣١٨٩	٤٤٨٤	٢.٠٧
	١٩٥٨	٨٩٢٧	٢٠٠٦٨	٥.٦٠
	١٩٦٠	٣٣٤	٧٤٠	٠.١٥
كليم صوف الي	١٩٥٦	٢٠٠٠	٢٥٠٠	١.١٥
	١٩٥٨	---	--	--
	١٩٦٠	--	--	--
سجاد صوف يدوي	١٩٥٦	٢٠٢٣	١٢٢٠٠	٥.٦١
	١٩٥٨	١٠٣٢٦	١٠٥٠٧٠	٢٩.٣٢
	١٩٦٠	١٨٧٠٤	١٦٦٨٨٨	٣٤.٢٩
سجاد صوف الي	١٩٥٦	---	-----	---
	١٩٥٨	١٩٥٣	٧٨٩٠	٢.٢٠
	١٩٦٠	٧٣١٠	٢٨٥٠٦	٥.٨٦
سجاد قطن الي	١٩٥٦	١٦٣١٣٧	١٦٩٤٩٩	٧٧.٩٨
	١٩٥٨	١٥٩٣١٨	١٧٩٧٣٦	٥٠.١٦
	١٩٦٠	١٥٥٦٠٤	١٨١٩٦١	٣٧.٣٨

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، إحصاء الإنتاج والمنتجات الرئيسية للصناعة (السجاد والكليم) للأعوام (١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٠).

نلاحظ من جدول رقم (١٧) أن الكليم الصوف اليدوي زاد إنتاجه في عام ١٩٥٨ على النقيض من الكليم الصوف الآلي الذي أنتج في عام ١٩٥٦ ولم ينتج في الأعوام الأخرى ، على عكس فإن السجاد وخاصة سجاد الصوف اليدوي زاد بنسبة ٣٤.٢٩ في عام ١٩٦٠ ونلاحظ أنه تدرجت زيادته في الإنتاج أي أنه في مراحل تطور كما نرى أيضًا سجاد

الصوف الآلي الذي تدرج في تطور إنتاجه بنسبة بسيطة ، ولكن سحاد القطن الآلي فإنه وصل إلى أقصى طاقة إنتاجية ولكن انخفض إنتاجه بنسبة ٣٨ . ٣٧ عام ١٩٦٠ عما كان عليه في عام ١٩٥٦ بنسبة ٩٨ . ٧٧ ، وهذا يرجع إلى أن مصر في هذه الفترة كانت تهتم بزراعة القطن وكانت تحتل المرتبة الأولى في زراعته .

وفي منتصف القرن العشرين : على الرغم من أن صناعة الغزل والنسيج نشأت في مصر منذ آلاف السنين كما أثبتت الكشوف الأثرية ، فإن عام ١٩٢٧ يعتبر البداية الحقيقية لصناعة الغزل والنسيج في مصر، اد تم إنشاء صناعة وطنية بالبلاد ، على أسس علمية سليمة ، توسعت وازدهرت بمرور الوقت ، وتحولت مصر من دولة مستوردة للغزل إلى دولة مصدرة له في عام ١٩٤٩ . كما احتلت صناعة الغزل والنسج في الخمسينات مكانًا مرموقًا بين الصناعات الأخرى في مصر بسبب الإدارة الناجحة ، وتكامل الفنيين بالأعداد المناسبة ، والتزام كامل مع العاملين بالإنتاجية وبمستوى الجودة ولذلك لاقت الصناعات المصرية قبولاً بين المواطنين إلى حد كبير ، إلى جانب النجاح في تصدير المنسوجات إلى خارج البلاد وفي الستينيات عانى كثير من مصانع الغزل والنسيج في بعض السلبيات ، خصوصًا بعد التأميم ، الذي كان له أثر عكسي على تطور هذه الصناعات في مصر.[١]

العصر الحالي : تحتل صناعات السحاد والكليم في العصر الحالي مكان الصدارة بين الصناعات الاستهلاكية لكونها تعتمد على خامات رئيسية تعتبر مصدرًا من مصادر الثروة ، وأهم هذه المصادر القطن والصوف والألياف الصناعية ويقف القطن منها جميعًا في المقام الأول حيث يعادل ٤٨٪ تقريبًا من استهلاك العالم من الألياف النسيجية.[٢]

---

١ - أحمد أنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، الجزء الثامن (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ، ١٩٩٩ ، ص١٨٧) .

٢ - أحمد أنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، الجزء الثامن، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٣.

جدول رقم (١٨)

الإنتاج الفعلي لصناعة السجاد والكليم وماليها في الأعوام (٢٠٠٠/٢٠٠١-٢٠٠١/٢٠٠٢-٢٠٠٢/٢٠٠٣)

القيمة : بالألف جنيه

المنتج	السنة	قطاع خاص	
		كمية م٢	قيمة
سجاد صوف يدوي	٢٠٠٠/٢٠٠١	٥٨٣١٤	١٥٧٩٥
	٢٠٠١/٢٠٠٢	٤٢٤٥٠	٣٢٥١٦
	٢٠٠٢/٢٠٠٣	-	٩٧٦٨٦
سجاد حرير يدوي	٢٠٠٠/٢٠٠١	٧٢٠	١٥٦٠
	٢٠٠١/٢٠٠٢	٣٥٩	٥٠٢
	٢٠٠٢/٢٠٠٣	-	١٥٠٨
كليم صوف	٢٠٠٠/٢٠٠١	٦٢٤٠	٢٠٧
	٢٠٠١/٢٠٠٢	٢٤٨٨٨	٦٧٩
	٢٠٠٢/٢٠٠٣	-	٢٠٤٠

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء . الإنتاج الفعلي لصناعة السجاد والكليم وماليها في الأعوام (٢٠٠٠/٢٠٠١-٢٠٠١/٢٠٠٢-٢٠٠٢/٢٠٠٣) .

يوضح الجدول السابق الإنتاج الفعلي لصناعة السجاد والكليم في الأعوام (٢٠٠٠/٢٠٠١-٢٠٠١/٢٠٠٢-٢٠٠٢/٢٠٠٣) بالنسبة للسجاد، فإن كميته زادت في عام ٢٠٠٠/٢٠٠١ مع الملاحظ أن الأسعار ارتفعت من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٣ مع قلة الكمية، ومن المعروف أن الصناعة اليدوية أسعارها مرتفعه نتيجة للابتكارات الفطرية مع ارتفاع أسعار المواد الخام .

كما تطورت حرفة التصميل وخياطة الأزياء على مر العصور وفقًا للتغيرات الزمنية المتتابعة حتى وصلت لما هي عليه الآن ، وهي من الحرف التي تعكس الحالة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية للعصر الذي تنشأ فيه إضافة إلى تعبيرها عن منظومة القيم والعادات السائدة، ونفس الظروف يمكن أن تظهر على الأزياء الشعبية التي تتسم في عمومها بالبساطة والبعد عن التكلف مع تمسكها بالقيم التراثية الأصلية ، والدقق في أنماط

الأزياء الشعبية في مصر بحد أنها قد تأثرت تدريجيًا بالتغيرات الاجتماعية المتواترة ، وذلك في صورة تغير على صعيدي الشكل والخامة وكل هذا يتم بما يتلاءم مع احتياجات الجماعة الشعبية وفقًا لروح المعطيات العصر وتراكمات الثقافة الشعبية والتاريخية .[1]

ثالثًا: صناعة الزجاج :-

تعريف صناعة الزجاج:-

الزجـاج : هـو جـوهر صلب سـهل الكسـر ، شـفاف . وتعـد صـناعة الزجـاج من الحرف التقليدية اللازمة لحياتنا اليومية على الصعيدين الجمالي والنفعي بصورة منفصلة أحيانًا ، ومتصلة في أحيان أخرى ، فعلى الرغم من ضرورة الأواني الزجاجية كجانب نفعي مهم ، حيث إنها ارتبطت بمؤثرات بيئية وتاريخية وعقائدية داخل الوعي الشعبي الأكثر فاعلية في تحديد الملمح التراثي، وقد تنوعت هذه الجماليات بين الأشكال الكروية والأسطوانية عن طريق النفخ ، وبين الحفر بشقيه الغائر والبارز، والتذهيب والتفضيض وغيرها من الأساليب التي تضيف إلى الإناء رونقًا وبهاء .[2]

سوف نعرض التطور التاريخي لصناعة الزجاج عبر العصور التاريخية التي مرت بها هذه الصناعة :

التطور التاريخي لحرفة صناعة الزجاج :-

العصر الفرعوني : لقد شدت انتباه الإنسان الأول تلك الكتل الشفافة اللامعة ، واستطاع بالملاحظة وبالمثابرة كشف سرها ، وتوصل إلى أسلوب بدائي حاكى به الطبيعة ، وصنع الإنسان الزجاج لأول مرة ، وتمضي الأيام وتنتقل الخبرة من الأجداد إلى الأحفاد ، فقد أثبت الأثريون أن مصر الفرعونية عرفت الزجاج قبل أي دولة أخرى في العالم القديم ، وذلك عندما عثروا على أوان وقدور زجاجية يرجع تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة مضت إبان عهد الأسرة الثامنة عشر لم تذكر الوثائق التاريخية كيف اكتشف الفراعنة الزجاج ، ويبقى سر صناعة الزجاج أسيرًا بين جدران المعابد ، إذ لم يسمح الكهنة للخبرة المصرية القديمة بالانتشار[3]

---

١ - وداد حامد ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص١٤٩.

٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، الصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٠)

٣ - أحمد أنور رهران ، التكنولوجيا والصناعة ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٠٧ .

تكشف الآثار المصرية القديمة عما كان يمتلكه الحرفي من قدرات إبداعية تمثلت في إنتاجه العديد من المنتجات بالغة الدقة في فنون الزخرفة والنقش ، فقد اكتشفت البعثات الأثرية الكثير من المنتجات الخرزية والمصنوعة من الزجاج الملون .

كما تألقت صناعة الزجاج في مصر القديمة ، ففي مدينة أخيتاتون" التي أقيمت في العهد الموحد المصري (أخناتون) تألقت عدة صناعات كان أهمها الخزف والزجاج على الرغم من أن المدينة قد شيدت في الأصل لتكون حصنًا للمذهب الجديد والبلاط الفرعوني ، تدل الرقائق الزخرفية والتفاصيل الموجودة على جدران قصر " أخناتون " على البهاء والفخامة ، وهي التي استخدم فيها الزجاج الملون والذهب الوفير لترين تيجان الأعمدة التي أخذت شكل جريد النخل وفي تاريخ حرفة الزجاج كان هناك ثلاث طرق لصنع الأواني الزجاجية وهي طرق القالب "moudling" والسحب "drawing" والنفخ "blowing" والتي عرفت مؤخرًا في حين أن طريقة القالب كانت شائعة عند الأقدمين .(١)

ومن هنا يتضح أن المصريين القدماء عرفوا الزجاج الشفاف الملون ذا البريق المعدني، واستخدم في صناعة الأواني والتمائم والتماثيل الصغيرة وأدوات الزينة ، كما استخدم في أشغال المينا .

ولم تقف صناعة الزجاج على المصريين القدماء بل تطورت عبر العصور وانتقلت من العصر الفرعوني إلى العصر الروماني والبيزنطي ليظهر الفن القبطي .

وفي العصرين اليوناني والروماني : استمرت شهرت صناعة الزجاج طوال العصور اليونانية والرومانية ، ومن أجمل الأنواع التي أنتجتها مصانع الإسكندرية في هذا العصر نوع من الزجاج متعدد الألوان أطلق عليه الإيطاليون في عصر النهضة الأوربية اسم ميللفوري "Millefoire" أي ألف زهرة ، وهو ابتكار فرعوني ، وطريقة عمل الأواني تقوم على عمل عيدان من الزجاج مختلفة الألوان تجمع معًا في حزمة واحدة ثم تدخل نارًا هادئة لتتماسك معًا ثم تقطع عرضيًا إلى أسطوانات صغيرة تلصق معًا .(٢)

وفي العصر البيزنطي : تعد مجموعه الزجاج بالمتحف القبطي قليلة على الرغم من ازدهار هذه الصناعة في هذا العصر، وتتمثل مجموعة الزجاج المعروض بالمتحف القبطي في

---

١ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص٦١ .
٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر . مرجع سبق ذكره ، ص ٦٢.

أوان من زجاج مقلم وطرز مختلفة من الكؤوس وأوان حميله للعطور وشمعدانات ومسارج وأكواب شفافة من عصر متأخر.[1]

العصر الإسلامي : مع الفتح الإسلامي عادت للقاهرة مكانتها في عالم الحرفة ، وتألق الصانع المصري تألقًا أخاذًا بالألباب وعقول الأمراء والحكام واستعاض سادة القوم بالمنتجات الزجاجية عن الأواني والقدور الذهبية طبقًا لمبادئ الشريعة الإسلامية .

لقد نشر الحكام رعايتهم على الحرفيين وتقديرهم لمكانتهم الفنية، إضافة إلى تقاليد المسلمين في عصر الخلافات الإسلامية المتعاقبة ، وهو ما أعطي دفعة إضافية لصناعة الزجاج، فمع بزوغ فجر الإسلام كان تأثير الحقبة الرومانية لا يزال باقيًا ، ليظل الحرفيون يمارسون المهنة وفق الأساليب القديمة المعروفة ، وتشمل منتجات الزجاج في العصور الإسلامية الأولى زجاجات وقوارير وزهريات وأكواب للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعطور.[2]

كما عرف أنواع الزجاج الشفاف والملون بالألوان الشفافة والمزخرفة بالمينا والمذهبة وغيرها ، وقد تنوعت استخداماته في صناعة الأكواب والأواني والقناديل وأدوات الزينة ، كما عرف الخزف خلال الحضارة الإسلامية وعرفت أغلب وسائل تشكيل وزخرفة الخزف ، وعرفت منه أنواع تمتاز بالدقة والجمال في الشكل والزخرفة، كما استخدم الفخار والخزف في شتى نواحي الحياة فصنعت منه الأواني والأكواب والكئوس والأباريق والأطباق والقدور وأواني حفظ السوائل والمأكولات والحبوب والقناديل إلخ .[3]

وبعد **الفتح الإسلامي لمصر** ، عمل العرب على تطوير صناعة الزجاج وابتكار الكثير من الأدوات والطرق التي لم تكن مستخدمة في العصور السابقة .

ففي نفخ الزجاج استخدم " **البونتيل** " وهو عبارة عن قضيب يمسك دقاع الإناء ، وكانت الكتل الخشبية من بين الأدوات الأخرى المستخدمة في نفخ الزجاج لتشكيل الزجاج المنصهر على هيئة كرة قبل نفخه ، والمدوار لتشكيل فم الوعاء والمقص لتقليم الزجاج الزائد أثناء النفخ واستخدم في إنتاج زجاج في ذلك العصر وهناك نوعان من

---

١ - محمد يسري دعبس ، القاهرة سحر الشرق وعبق التاريخ - دراسة في أثر وبولوجيا السياحة ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٤.

٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص٦٣

٣ - سلمي رزق بشاي،تاريخ الزخرفة - للصناعات الزخرفية والنسجية ،مرجع سبق ذكره،،

القوالب نوع من جزأين منفصلة ، بأشكال هندسية ونباتية والآخر قالب غمس ، حيث ينفخ الزجاج بداخله ثم يستكمل نفخه خارجيًا مما يجعل الشكل أقل تميزًا ، ويتميز زجاج ذلك العصر بأشكال مركبة ، مقرونة بآيات قرآنية وكتابات أخرى ، منفذة بخطوط خزفية فنية .(١)

وفي العصر العباسي : في أوائل القرن الثالث الهجري بدأت جميع الحرف والفنون تتميز بأسلوب وطابع إسلامي واضح ، فقد اختفت الرسوم الآدمية و الحيوانية ، كما حورت الرسوم النباتية ، وظهرت الكتابات العربية كعنصر زخرفي واضح ، وقد كانت الأساليب الفنية والزخرفية مشتركة إلى حد كبير بين دول الشرق الأوسط الإسلامي مصر وسوريا والعراق حتى أصبح من الصعب في كثير من الأحيان نسب التحف الزجاجية إلى إقليم محدد .(٢)

وفي العصر الفاطمي : يعتبر عهد الفاطميين العهد الذهبي للزجاج .(٣)

فهو من الصناعات التي اشتهرت في هذا العصر ، فقد بلغت تلك الصناعة درجة عظيمة من الرقي .

فهو يدل علي مدى ما وصلت إليه صناعة الزجاج في العصر الفاطمي في رقي وتطور، وكانت هذه الصناعات متمركزة في تنيس والفسطاط والفيوم والإسكندرية ، وهي المدن التي كانت مشهورة أيضا بهذه الحرف في العصر البيزنطي وصناعة الزجاج كانت لازمة في تشييد القصور ، وكانت أيضا ضرورية لصناعة الفوانيس والمصابيح فقصور الخلفاء كانت حافلة بمنتجات زجاجية في غاية الدقة ، وكانت المصنوعات الزجاجية تستخدم أيضًا في التجارة مع النوبيين كوسيلة للتبادل بدلاً من النقود حيث كانت القطع الزجاجية تستخدم بدلا من العملات الصغيرة ، أما البلور الجبلي ، فكانوا يصنعون منه الكؤوس والأقداح والأباريق والفناجيل والزجاجات الصغيرة .(٤)

---

1 - http:// www.sis.eg 28/3/2006

٢ - سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الطبعة الأولى (الهرم، هلا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص ٢٥٣) .

٣ - أحمد أنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٠٧ .

٤ - ل.أسيمبنوفا ، تاريخ مصر الفاطمية " أبحاث ودراسات " ، ترجمة : حسن نيومى (المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠١ ، ص١٢٢)

ويتضح مما سبق تطور صناعة الزجاج تطورًا ملحوظا في العصر الفاطمي فقد أنتجت أرقى أنواع الزجاج ، وأكبرها قدرا ، خاصة الزجاج المذهب والمزين بزخارف ذات بريق معدني ، مما جعل الدول الأوربية تتنافس على شرائه من مصر فنافسوا بذلك منتجات الدول البيزنطية ، وكانت المصنوعات الزجاجية في العصر الفاطمي تعد من التحف النادرة والتي تعتبر تحفًا من أغلى النفائس خاصة ما كان مرسوما عليها بالذهب الخالص .(١)

وفي العصرين الأيوبي و المملوكي : في العصر الأيوبي كان أغلب التحف الزجاجية التي عثر عليها ملونة بالمينا والذهب ، كان بعضها يشتمل على زخارف لموضوعات آدمية عبارة عن مناظر الألعاب الرياضية وحفلات الصيد ، وكانت هذه الصور تشتمل أيضًا على رسوم حيوانية في تكوينات زخرفية مع زخارف نباتية ، والزخارف الكتابية بالخط النسخ أو الثلث . ومع بداية العصر المملوكي استمر ازدهار صناعة الزجاج الذي تميز بطلاء المينا ، فصنعت منه القناديل والدوارق والأباريق والبلور الصخري ، ووصلت تلك الصناعة إلى قمتها في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر ، وكان أهم ما يميز العصر المملوكي مصابيح المشكاوات التي تفنن فيها الزجاج المصري ، والتي كان بعضها مطليًا بالمينا ، وعليها زخارف قوامها أشرطة بها كتابات وخامات وفروع نباتية تقليدية .(٢)

قد كان من ضمن تقنيات صناعة الزجاج وتشكيله النفخ في الرمال ونقشه بخطوط سوداء وقطعه بعجلة ، وقد ظهرت روعة الصناعات الزجاجية في القرن الثاني عشر ثم اختفت تقنيات صناعة الزجاج لأسباب مجهولة ، ثم انتعشت ثانيًا ، فمنذ القرن الثالث عشر أصبحت زخرفة الزجاج عن طريق طلائه بالذهب أو طلائه بالمينا أو بسطح ملون منتشرًا في مصر وسوريا ، فقد كانت التصميمات توضع باللون الأحمر ثم تغطى بلون معين ثم تحرق في أفران ذات درجات حرارة منخفضة ، وهو نفس الأسلوب٢الذي كان يتبع في طلاء الأواني المعدنية والخزف .(٣)

وفي العصر العثماني : يأتي العصر العثماني ليغير مجرى صناعة الزجاج في مصر مثل باقي الحرف الأخرى نتيجة سحب معظم الحرفيين إلى الأستانة إضافة إلى

---

١ ـ أحمد عطيه رمضان ، تطور مصر الاقتصادي والاجتماعي منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر المماليك (القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٩٠ ، ص١٣٠)

٢ ـ سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥ .

3 - Robert Irwin ، Islamic Art ، Op. Cit.. ،P 155 .

التغريب الذي ساد الدولة العثمانية ، فقد اتجهوا إلى استيراد الزجاج من مدينة البندقية التي تعلمت الزجاج من قدل على أيدي الزجاجين المصريين بالإسكندرية ، ونتيجة لاتجاه الطبقة الحاكمة إلى استيراد الزجاج فقد المبدع المصري جانبًا كبيرًا من التشجيع ، فظهرت ملامح التدهور والاضمحلال في هذا العصر، وذكر المستشرق الإنجليزي " إدوارد وليم لين " أن صانعي الزجاج فقدوا كثيرًا من الحس الفني الذي كان عند أسلافهم ، ومع ذلك مازال إبداعهم في صنع النوافذ يلاقي استحسانًا رفيعًا ، وإن كان ليس بمستوى الماضي.(١)

القرن العشرين : تجمدت صناعة الزجاج في مصر فترة طويلة حتى عادت الروح لها في الثلث الأول من القرن العشرين ، منذ هذه الحقبة والتطور يدفعها في خطوات إلى مزيد من التقدم.(٢)

تقوم حرفة الزجاج في العصر الحديث على تفريغ الوحدات الزخرفية الهندسية والنباتية وأشكال الحيوانات في ألواح من الجص بزاوية ميل معينة تسمح بنفاذ الضوء عبر الفتحات التي يتم تغطيتها بقطع من الزجاج الملون بألوان زاهية وشفافة تضفي على المكان خشوعًا وروحانية، وكانت العمارة الإسلامية في مجال إبداع فن الزجاج المعشق بالجص لدقتها وتنوع تصميماتها وعدم تكرارها وكان لهذا القسم بمركز الخزف بوكالة الغوري دور كبير في إنقاذ هذا الفن من الانقراض منذ أوائل الستينات وحتى الآن حيث تخرج منه العديد من المتدربين والذين مارسوا هذه الحرفة على أعلى مستوى من الدقة والجمال.

رابعًا : صناعة الجلود

التطور التاريخي لحرفة صناعة الجلود :

العصر الفرعوني :استطاع المصريون القدماء الاستفادة من جلود الحيوانات بمهارة واضحة في صناعة الأكياس وأغطية الوسائد وأرضيات المركبات والحبال والنعال . وقد صورت هذه الصناعة على جدران بعض المقابر.(٣)

---

١ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ،ص٦٦.

٢ - أحمد أنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٨.

٣ - أنور عطيه العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية فى بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة ، مرجع سبق ذكره ص٢١

كان المصريون القدماء يستعملون الجلود ككساء للأحياء وأكفان للموتى وقد حظا المصريون بالجلود حظوات منذ القدم فاستعملوه خاما ثم عالجوه لدرجة جعلته طريا ثم دبغوه دبغا تاما . والأشياء المصنوعة من الجلد توجد في المقابر من العهد التاسع وفترة البداري وعصر ما قبل الأسرات . وصناعة الجلود مصورة على جدران مقبرة من عهد الأسرة السادسة والعشرين في طيبة . فقد استعملت الجلود في صنع مقاعد الكراسي ذات المساند وللكتابة عليها وكانت شائعة جدا في ذلك العصر.(١)

دبغ المصريون الجلود مهارة وصبغوها صبغًا متقنًا وصنعوا منها أغطية المقاعد والوسائد والنعال والسيور الجلدية لعجلات الحرب والدروع وجعاب السهام. حتى استمر للعصر الإسلامي .

العصر الإسلامي : لما كانت أراضي القطر المصري الزراعية كثيرة المراعي كانت صناعة الجلود بطبيعة الحال معلومة . فقد دبغ المصريون الجلود مهارة فنعموها وصبغوها بكل الألوان واستعملوها لأغطية المقاعد والمضاجع والوسادات كما صنعوا منها المظلات والستائر.(٢)

ويبدو أن المصريين في أوائل القرن الرابع الهجري عملوا على اكتساب معرفة صناعة بعض أنواع الجلود من الزنوج . كما عملوا على أن يستوردوا من الحبشة جلود الجاموس . وكان التجار الذين يعملون في (عيذاب) يجلبون إلى مصر الأدم والدرق . وكذلك جلود النمور وغير ذلك من الخامات اللازمة للصناعات الجلدية المختلفة . وأهم ما يصنع من الجلود في مصر النعال أو الأحذية وقد اشتهرت الفسطاط بصناعة الكثير من الأدوات مثل عمل الحقائب والسيور والقسي.(٣)

مما يدل على مهارت وإبداع الفنان في العصر الإسلامي أنه استخدم وسائل متنوعة في إعداد ودباغة وصباغة وتلوين مختلف أنواع الجلود . نحو جلود الضأن والماعز والإبل والعجول والأبقار والجاموس . وصنعوا منها النعال والحقائب وكثيرًا من أدوات المنزل .

---

١ - ألفريد لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة : زكي إسكندر وآخرون ، الطبعة الأولى (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ص ص ٦٣ -٦٤)

٢ - جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي ، ترجمة : حسن كمال، الطبعة الطبعة الثانية (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦، ص٦٣)

٣ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ – ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٧٠.

وفي العصر الفاطمي : حدث تطور مهم وبالغ في حرفة صناعة ودباغة الجلود بعد أن صار العمل بها منتشرا لأبلغ الحدود ، حيث صارت هناك أنواع نادرة جدا من الجلود ، التي يتم جلبها من إثيوبيا والنوبة . وكانوا يصنعون منها الصادل والنعال والخرائط الجغرافية وأيضا كان يتم زخرفتها . وبشكل رئيسي يصنعون منها السرج لدواب الخلفاء والأعيان ، وفي خزائن القصر كانت هناك كميات هائلة من هذا السرج، مصنوعة من الجلد ومطعمة بالذهب والفضة والبعض منها كانت تتراوح قيمته ما بين ألف إلى سبعة آلاف دينار.[١]

يتضح من ذلك أن صناعة الجلود ليست الصناعة الأولى التي لها أهمية في العصر الفاطمي لعدم توافر الجلود عند العرب ولكن اختلف الوضع من العصر الفاطمي حتى القرن الثامن عشر.

وفي القرن الثامن عشر : اشتهر الحرفيون المتخصصون بالقاهرة بصناعة الجلود وما يتعلق بها من صناعات أخرى ، وكانت مصر تشتري من الخارج كميات عديدة من الأحذية وبصفة خاصة من المغرب مثل النعال المغربية الصفراء دون أن يقوموا بتصدير شيء منها تقريبًا ، الأمر الذي يشكل دليلاً على ضعف أحد فروع الأنشطة الحرفية (المتعلقة بصناعة الجلود) كما كان صناع الجلود منعزلين في العديد من الورش الصغيرة التي كانت تعمل في الوقت نفسه كذلك كحوانيت يباع بها الأحذية أو مستلزمات السروجية ، وكانت الأنواع المنتجة من الجلود متنوعة جدًا،ويعد حرفيو الجلود من أفقر حرفي القاهرة .[٢]

أما العصر الحالي : فإن صناعة الجلود مرتبطة في ذهن السائح بمنطقة خان الخليلي ، فصناعة الجلود عامل جذاب للسائح من الناحية الفنية .

فالآن نجد أن صناعة الجلود بألوانها وأشكالها من أحذية وشنط وحافظة وغيرها ، متوفرة بكثرة وباسعار متاحة،والسائح أكثر إقبالاً على صناعة الجلود وخاصة المنقوش عليها أشكال فرعونية تحاكي الماضي و التي تتميز بسحرها الخارق وتستخدم للزينة .[٣]

---

١ - ل . ايسمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمي " أبحاث ودراسات " ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٤ .
٢ - أندريه ريمون ، الحرفيون والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٩٥ .

3- Denise Ammoun ، Crafts of Egypt ، Op. Cit. ، P59 .

خامسًا: صناعة المعادن

التطور التاريخي لحرفة صناعة المعادن:-

العصر الفرعوني : لقد استخدم المصريون في وقت مبكر الحلي الذهبية والفضية لاعتقادهم في القوى السحرية الكامنة في هذين المعدنين ، كما استخدموا أيضًا الودع والأصداف في عصر البداري الذي يعود إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد وحضارته التي تعد الأقدم في العالم.(١)

بلغت هذه الصناعة درجة عالية من الدقة ، ومن أهمها صناعة الجرار والأواني والكؤوس والأقداح والقصاع التي كانت تصنع من المرمر والشست والحجر السماقي وكانت تزين أحيانًا برسوم بشرية أو حيوانية ويضاف إلى هذه الصناعات صناعة الحلي والجواهر.(٢)

كما أن المصريين القدماء قبل عصر الأسرات ما بين عام (٤٠٠٠ - ٣٦٠٠ ق.م) برعوا في عمل لوحات تحميلية معدنية تجمع في شكلها بين أشكال الحيوانات وأشكال هندسية وبينها لوحة على شكل سلحفاة.(٣)

أما بالنسبة لصياغة الذهب فيعتقد أنها بدأت في عصر الأسرات ، ففي الأسرة الأولى (٢٤٠٠ قبل الميلاد) عثر على مجموعة من المشغولات الذهبية تتضمن أربع أساور غاية في الدقة والإتقان من حيث التصميم وتعدد خامات تنفيذها ، إذ إنها مؤلفة من الذهب والفيروز والعقيق ، هذا إلى جانب الكنز الذي عثر عليه في مقبرة "حتب - حرس" والدة الملك خوفو حيث عثر على مجموعة من الفضة بها رسوم على شكل ذباب ضخم ومرصعة بالفيروز واللازورد ، وقد اعتقد المصري القديم أن الحلي المصنوعة من الذهب تضفي على صاحبها صفة الخلود والبقاء ، وفي حالة ضعف القدرة الاقتصادية لدى المقتني كان يطلي بعض المعادن الأقل قيمة بطبقة من الذهب.(٤)

---

١ - عايدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى(أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٤، ص١٠٨) .

٢ - أنور عطيه العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة ، مرجع سبق ذكره ص٢٣.

3- A.J.Spencer ، Early Egypt - The Rise of Civilisation in The Nile Valley ، Op. Cit. ،P.28 .

٤ - عايدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره- ص١٠٨ .

كما عرف المصري القديم البرونز وصنع منه وعاءً وجد في مقبرة الملك (خاسيخموي) (Khasekhemwy) في أبيدوس يستخدم لغسل اليدين . وتعتبر هذه أولى الأمثلة الحقيقية لمصنوعات البرونز في عصر الأسرات الثاني في مصر وصنع المصريون القدماء عقدًا من الذهب والفيروز التركوازي ووجد على رأس امرأة في مقبرة في أبيدوس يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات حوالي (٣٢٥٠ ق.م) .[١]

فقد كان المصريون مهرة في صناعة المعادن منذ العصر الفرعوني وقد كشفت الحفائر عن أنواع مختلفة من البرونز والفضة والذهب مصنعة كالأواني والأباريق والحلقان والأسوار والخرز والأدوات والأجهزة والتماثيل وغير ذلك .

ولقد كان الصانع القبطي ماهرًا في زخرفة الأواني والأدوات المختلفة سواء بالتفريغ أم الحفر ، حيث إن القصص الديني قد لعب دورًا مهمًا في موضوعات الزخارف والزخرفة ، وإن كانت المناظر الدنيوية والأشخاص قد وجدت أيضًا مكانها بين هذه الزخارف مثل الراقصات والموسيقيين والحيوانات المختلفة .[٢]

وتبع المصريون في استخدام الذهب والفضة والأحجار الكريمة في صناعة الحلي وتحوي متاحف العالم عددًا كبيرًا من الأساور والعقود والخواتم والأقراط والقلائد والتيجان .

كما لعب الحلي أدوارًا مختلفة في مصر ، فبالإضافة إلى انجذاب البشر بالطبيعة للأشياء الجميلة ، فإن الحلي كان له أهمية دينية وسحرية في العالم المصري القديم بحماية مرتديها من السوء .

كما أن معادن الزينة ليست وافدًا جديدًا على هذه الأرض ، وإنما عرفها الإنسان منذ كان ، واستخدمها كما هي . كما امتازت بألوان و أشكال مختلفة فمن تماثيل المراعنة مثلاً نجد الفيروز في مكان العيون ، وظلت معادن الزينة تتداول بين أيدي البشر حتى عصر الحضارة الإسلامية .[٣]

ولم يقتصر الاهتمام على المعادن والحلي بل عرف المصري القديم مجموعة من الأواني النحاسية في مقبرة إيدي في أبيدوس، كما كانت تصنع الصنابير التي تصب

---

1 - A.J Spencer , Early Egypt - The Rise of Civilisation in The Nile Valley , Op. Cit.P 29

٢ - محمد يسري دعبس ، القاهرة سحر الشرق وعبق التاريخ - دراسة في أنثروبولوجيا السياحة ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٧.

٣ - محمد فتحي عوض الله ، معادن الزينة (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص١١٧) .

للشراب من النحاس ، ثم يصنع جسم الإناء بالطرق والدق عليه ، وهذه الأواني المكتشفة في سقارة دليل على وجود صناعة النحاس في عصر ما قبل الأسرات [١]

وفي عصر الدولة الوسطى : (٢١٦٠ -١٧٨٨ ق.م) فكان الصائغ المصري يستمد من الطبيعة كثيراً من عناصرها الزخرفية ويضعها في قوالب مختلفة مثل زهرة اللوتس ، ونبات البردي النخيل ، ونبات الخشخاش ، ويعتبر ما عثر عليه من آثار الأسرة الثانية عشر هو الأهم حتى الآن في تاريخ الفن المصري القديم من حيث دقة الصنع ورقي الذوق [٢]

وفي العصر اليوناني والروماني : اشتهرت مصر والنوبة في هذين العصرين بمناطق الذهب مما يؤكد على قول ملك ما بين النهرين " توشراتا Tushratta" عن مصر (أنها بلاد ينتشر فيها الذهب مثل الغبار) ، لم تكن الفضة كالذهب فمراكز إنتاجها محدودة كما أن استخدامها كان قليلاً في العصور القديمة في صناعة الحلي . كما أن شرائح الذهب والفضة السميكة التي كانت تصنع منها الحلي قديمًا غالبًا ما كان يتم تشكيلها باستخدام أدوات من البرونز أو الخشب أو العظم ، وقد بقي العديد من هذه الأدوات خالدًا . كما أن النحاس من أشهر المعادن التي استخدمت في صناعة الأدوات (كالأزميل المعنية والسكاكين) وفي قطع ألواح الذهب وغيرها . [٣]

لذلك اشتهر العصر الروماني بالعديد من الفنون منها كأس من الفضة المذهبة ، ويعد هذا الإناء من أجود وأندر ما تبقى من التراث الفني لمدينة الإسكندرية خاصة في مجال صناعة الأواني المعدنية ، إذ الزخرفة البارزة الدقيقة التي تزين الكأس من عدة مناظر، يفصل بينها أغصان شجر العنب . ولكنها جميعًا تعبر عن موضوع من الموضوعات المحببة إلى الناس في الحقبة اليونانية الرومانية وهو جمع العنب وعصره ، ويقوم أكثر من طفل مجنح " كيوبيد " بقطف العنب ووضعه في سلال من الخوص تمهيدًا لنقله إلى حوض العصير حيث يوجد هناك مجموعة من الساتير (أتباع ديونيسوس " إله الخمر") يقومون بعصر العنب بأقدامهم . كما يوجد أيضًا طفلان مجنحان يستقبلان العصير في كأس

---

1 - Cyril Aldred ، Egypt to the end of the old Kingdom ، Op Cit، P 58

٢ - عايدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص١٠٩.

٣ - عزت زكي حامد قادوس ، فنون الإسكندرية القديمة (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية منشأة المعارف، ٢٠٠١ م ، ص ص ٣٣٥ ــ ٣٤١) .

يسمى " الكانثاروس " . بينما يظهر آخرون يقدمون العصير إلى ديونيسوس الذي يبدو متكئا في ظل شجرة . ملتفتا نحو حورية تعزف على القيثارة .(١)

وفي العصر البيزنطي : تأثر المصاغ الشعبي بالديانة المسيحية الجديدة ورموزها مثل الصليب بأشكاله المتعددة : وأوراق الكروم وعناقيد العنب، وصور القديسين والرهبان وبعض الكلمات المسيحية . والمتحف القبطي زاخر بمثل تلك النماذج الفنية .(٢)

إن الفن القبطي كشف عن مصنوعات برونزية ذات طرز متشابهة في مختلف أنحاء مصر يدل على أن هذا الفن القبطي المبكر لم يكن ظاهرة محلية فحسب . ولا ينسى أن نضيف الأصناف الزخرفية في أشكالها الهندسية مثل الخطوط المتموجة والصلبان المعقوفة ، أو في صورها النباتية التي تمثل أغصانًا مورقة طبيعية أو مصطنعة وأكاليل وأزهارًا صغيرة . أو في صورها الحيوانية . منها ما هو على صورة أسد أو أرنب بري أو كلب يطارد غيره وكذلك التيجان على رؤوس الأعمدة الربعة الموجودة بالإسكندرية .(٣)

وفي العصر الإسلامي : امتاز العصر الإسلامي برسوم هندسية اتصفت بها الفنون الإسلامية وهي التراكيب الهندسية ذات الأشكال النجمية المتعددة الأضلاع . والتي ذاعت في مصر واستخدمت في زخارف التحف النحاسية . وفي الصفحات الأولى المذهبة في المصاحف والكتب .

وقد أتقن المسلمون هذا النوع . وقد عنى العالم الفرنسي(برجوان Bourgoin) بدراسة هذه الزخارف الهندسية المعقدة وتحليلها إلى أبسط أشكالها ويتجلى من دراسته أن براعة المسلمين في الزخارف الهندسية لم تكن تقوم على الموهبة الطبيعية فقط . بل كانت تقوم على علم وافر بالهندسة العلمية .(٤)

كما استخدمت المعادن المتنوعة في شتى فروع الصناعات والحرف ونواحي الحياة المختلفة واستخدمت وسائل الزخرفة فيها بدقة وتنوع حيث استخدمت وسائل السبك والتطريق . والتقبيب والتفريغ . والتعشيق والترصيع والحفر والتلوين بالمينا ... إلخ .

---

1 - Francisco Jose Martin Valentin &other ، Egypt Cradle of Civilization ،Op. Cit.. ،P 20 .

٢ - عايدة جطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص١١٠.

٣ - ثروت عكاشه ، الفن المصري ٣ ، مرجع سبق ذكره، ص١٤٠٣.

٤ - ثريا نصر ، التصميم الزخرفي - في الملابس والمفروشات ، مرجع سبق ذكره ، ص٧١

ومن مظاهر الإبداع الفني في العصر الإسلامي صندوق مصحف من الخشب المصفح بالنحاس ومرصع بالذهب والفضة وله غطاء متحرك بمفصلتين ، ويقوم على أربعة أرجل ثلاثة منها مجددة وواحدة أصلية وقد صنع هذا الصندوق لكي يحفظ به ثلاثين جزءًا من القرآن ومن ثم فهو مقسم من الداخل إلى حزئين رئيسيين كل منهما يسع خمسة عشر جزءًا ، الجزء الداخلي للغطاء والصندوق مغطى بالورق المزخرف بزخارف ملونة بها آثار تذهيب الكتابة بصندوق المصحف كما أضيف حول جوانب صندوق المصحف شريط عريض به كتابة نسخية تضم آيات قرآنية من سورة البقرة (آية ٢٥٥) وسورة آل عمران وسورة الواقعة .[١]

احتلت صناعات المعدن أعلى مكانة في الفن لفترة طويلة في العصر الإسلامي ، إذ قدمت أروع الزخارف والتي كانت لها أثر كبير على الأشكال الزخرفية التي تم تسخيرها واستخدامها في الفنون الإسلامية الأخرى مثل صناعة الخزف ، وأعطت المعادن الثمينة التي استخدمها الصناع في ذلك الوقت مكانة متميزة بين العمال في باقي الحرف ، كما أن النقش على الفضة والذهب التي كانت أميز الفنون في ذلك الوقت ربما في القرن الثالث عشر .[٢]

وعندما دخل العرب مصر وجدوا بها صناعة الحلي راقية ، تعتمد على الصياغ والفنيين القبط الذين أثروا في الفنون الإسلامية في عصورها الأولى إلا أن العرب سرعان ما صبغوا تلك الصناعة بطابعهم الديني ، فخرجت الحلي بشخصية جديدة ذات طابع إسلامي رغم تأثرها بالفن الساساني والبيزنطي .[٣]

ولم يكن التجمل بالحلي مقتصرًا على النساء ، فالرجال في مصر كانوا يستخدمون الحلي أيضًا ، حتى محيء المسيحية إلى البلاد ، وعندما تحول كثير من أهلها إلى الديانة الجديدة ، فإن مظاهر البذخ والترف ومنها الحلي أصبحت أقل شيوعًا وحل محلها مظاهر الورع والتقوى والتدين ، فصنعت الحلي من مواد أرخص تحمل رموزاً مسيحية ، مثل

---

1 - Francisco Jose Martin Valentin &other ، Egypt Cradle of Civilization ،Op. Cit ،P.81 .
2 - Robert Irwin ، Islamic Art (London ، Laurence king publishing ، 1997 ، P 145)
٣ - عايدة خطاب ، مرسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٠ .

الصليب والتمائم ، وبعد مجيء الإسلام إلى مصر ، حرم على الرجال خاصة التزين بالحلي الذهبية واستمروا في استخدام مواد بديلة كالفضة.(١)

وفي العصر الفاطمي : كان تصنيع المعادن يحتل المكانة الثانية بعد صناعة النسيج ، فالذهب والفضة لازمان لصناعة سك النقود ولإعداد الأدوات الخاصة بإظهار العظمة والأبهة مثل العقود والأساور والخواتم، ولتزيين السرج والسيوف والكتب ، وكان هناك أيضا استخدام واسع للأواني الفضية ، حيث يكثر الحديث عن تلك المصنوعات في مصادرنا عند وصف ثروات الفاطميين، أما صناعة النحاس والبرونز فكان من المعتاد إعداد حاجات ولوازم القصور منها ، وكانت تشكل على هيئة طيور وحيوانات ، وعلى ما يبدو فإن هذه الصناعة كانت تتم بإدماج هاتين المادتين معا، وهناك الأواني النحاسية التي يتم تطعيمها غالبا بالذهب أو الفضة ، حيث كان فن تطعيم هذه المعادن واسع الانتشار في القاهرة .(٢)

وكذلك ازدهرت صناعة التحف المعدنية في العصر الفاطمي وقام المصريون بجلب معدن النحاس من أصفهان ، وقد صنع فنانو العصر الفاطمي الأواني النحاسية والبرونزية على أشكال الحيوانات ، وكانت في الغالب أباريق من النحاس الأصفر ومن التحف المعدنية التي كانت تحفل بها القصور الفاطمية مما يدل على مهارة الصناع وتفوقهم في صناعة تماثيل البرونز التي كانت تستعمل أحيانًا مباخر أو صنابير للأواني .(٣)

ومن المصنوعات المعدنية في العصر الفاطمي صحن من الخزف مزخرف بالبريق المعدني فوق الطلاء الزجاجي ، الزخرفة تمثل حيوانا خرافيا مجنحا في فمه فرع نباتي يحيط به شريط عريض من زخرفة نباتية محورة، يحمل الصحن توقيع صانعه الخزاف "مسلم بن الدهان" .(٤)

أما صناعة الحلي فلم تقتصر على أنواع أدوات الزينة الخاصة بالنساء وإنما كانت أدوات كثيرة تصنع من الذهب وتحلى بمختلف أنواع الجواهر واليواقيت والزمرد ، وهي لا شك توضح لنا مدى استخدام الذهب والفضة ومظاهر الترف لدى الفاطميين ،

---

1 - http// www.sis.eg 2008/3/28

٢ - ل أسيمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمي " أبحاث ودراسات " ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢١ .

٣ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ – ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص١٦١ .

4- Francisco Jose Martin Valentin &other , Egypt Cradle of Civilization ،Op. Cit. ،P 87 .

وحرصهم على اقتناء التحف الثمينة من جهة، كما تكشف لنا من جهة أخرى عن المهارة الفائقة التي بلغها صناع الحلي والجواهر في عصرهم .

كما ظهرت مهارات وإبداعات كثيرة في صناعة الأواني الفضية والذهبية ولكن لسوء الحظ ، فقد تم صهر هذه الأواني رفيعة الذوق من أجل إعادة استخدام معادنها الثمينة . ولهذا فإن معظم الصناعات المعدنية الجميلة والتي تعرض في المتاحف ما هي إلا قطع معدنية مرصعة بالذهب والفضة أو حتى نحاسية وفي بعض الأوقات تم انتزاع هذه المعادن التي رصعت بها هذه الأعمال الفنية تاركة أماكنها خالية . (١)

وفي العصر الأموي والعباسي : ظلت صناعة المعادن وزخرفتها في العصرين الأموي والعباسي حرفة الأقباط في مصر ، حيث استخدموا كثيرًا من الأدوات المعدنية في كنائسهم وذلك خلال القرن الأول الهجري، امتدت مظاهر النهضة الصناعية إلى المعادن ، حيث راجت صناعة الحلي والأدوات النحاسية فقد ظهرت بوضوح في زخرفة التحف المعدنية عن طريق الحفر والتخريم وتشكيل الأواني المصنوعة من النحاس . (٢)

وفي العصر الأيوبي : تميزت مشغولات العصر الأيوبي (١١٧١ - ١٢٥٠ م) بالنقش البارز على شكل الطيور والحيوانات ، والأدعية وبعض العبارات الدينية الأخرى ، وصناعة الشمعدان من النحاس المطعم بالذهب والفضة، وقد زين بأشرطة وبحامات مستديرة مملوءة برخارف حيوانية وآدمية ، ويحيط بها زخارف عربية مورقة متأثرة إلى حد كبير بالزخارف التي كانت سائدة في العصر الفاطمي (٣)

ومن الجدير بالذكر أنه منذ القرن الثاني عشر كانت البلاد الإسلامية تعاني من فقر في معدن الفضة ، ولهذا استخدم أسلوب ترصيع المعادن كأسلوب لبقاء المعادن لفترة أطول ، ولم يكن هذا سببه ندرة المعادن الثمينة فقط ، فأصبح المسلمون الوارعون يشتريون من أوعية مرصعة بدلاً من أوعية ذهبية أو فضية خالصة ، ومن ضمن الصناعات المزخرفة التي فضلها العالم الإسلامي أحواض واسعة وشمعدانات ومصابيح .. وغيرها . (٤)

1- Robert Irwin , Islamic Art , Op. Cit. ,P 146 .

٢ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ -٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

٣ - عايدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره، ص١١٠

4- Robert Irwin , Islamic Art , Op. Cit. ,P 147

وفي العصر المملوكي : (١٢٥٠ - ١٥١٧م) شكل الحلي بطريقة الأسلاك المشبكة التي تشبه الشفتشي ، والمفرغة كالدانتيلا ، كما تميزت أيضًا باستخدام "الرنوك" التي عرفت عند المماليك والواضحة في تشكيل بعض الخواتم الفضية والأساور الذهبية .[١]

وفي العصر العثماني : وبعد الغزو العثماني تدهورت الفنون المصرية الإسلامية نتيجة لنقل معظم الحرفيين إلى الأستانة ، فانخفض مستوى الإنتاج الأصيل ، وخضعت البلاد للتأثير الغربي والتقاليد العثمانية .[٢] وقد أدى هذا التدهور إلى اندثار العديد من الصناعات المعدنية كالحلي والمصنوعات النحاسية ، وترتب على ذلك تدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية للحرفي في هذا العصر

وفي القرن الثامن عشر : تعددت حرف الصناعات المعدنية بالقاهرة إذ ضمت تسع عشرة حرفة يعمل بها ٣.٥٠٩ حرفيًا ، ولكن أهميتها ظلت متفاوتة : فحرفة النحاس وفرت معظم الأدوات المنزلية التي توارثها أربابها الحرفيون ، وفي نهاية القرن الثامن عشر استوردت مصر من أوروبا كميات كبيرة من المنتجات المعدنية :

أسلحة " وخردوات معدنية" (الأواني النحاسية والحديدية) وإبر الخياطة ، والمسامير ، ومبارد ، وسكاكين ، وأسلاك حديد ، وهذا يفسر الرغبة المعلنة للعديد من النكوات المماليك الحاكمين في استجلاب "حدادين" من أوربا متخصصين في صهر المدافع التي لم يكن الحدادون المحليون أكفاء لصناعتها .[٣]

وفي القرن التاسع عشر : كان الصناع الأرمن المهرة الذين هاجروا إلى مصر في ذلك القرن لهم الفضل في نقل الأساليب التركية والأوربية في صناعة الحلي الشعبي ، وقد تميز هذا العصر باستخدام السلاسل الطويلة المنتهية بالأحجبة الأسطوانية المعلقة ، أو اللعب التي بداخلها بعض الآيات القرآنية ، وما زالت هذه المصنوعات مستخدمة في مختلف البيئات المصرية والبدوية والريفية كحلي حتى الآن إلى جانب استخدامها كتمائم وتعاويذ .[٤]

أما العصر الحالي : فقد نجد أن السائح هو الذي يحدد طريقة التصميم الحرفي للعمل الذي يصنعه ، فإنه يعتمد على ذوق واختيارات السائح ومدى إقباله على هذا الشيء

1- Francisco Jose Martin Valentin Bother , Egypt Cradle of Civilization ,Op. CiL. ,P.83

٢ - عايدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره، ص١١١.

٣ - أندريه ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، ترجمة ناصر أحمد ابراهيم ، وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص٤٠٠

٤ - عايدة خطاب – موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية – مرجع سابق - ص١١١.

أولاً . كما أن التذكارات الفرعونية هي التي احتاجت السوق . لذلك حرص السائح على اقتناء أي قطعة من الحلي ذات الطابع الفرعوني . (١)

وبناءً على ذلك وجدت الدارسة أن الحرفيين يقدمون لزبائنهم قطعًا مدهشة من الحلي كالأحجبة والأساور والأقراط والحلقات . وبما أن السياح يحبون اقتناء هذه القطع . فقد بدأ الحرفيون في تقليديها وكتابة أسماء الملوك والفراعنة عليها مثل (خوفو ورمسيس الثاني .. إلخ)، وبعد ذلك تطور الموضوع وبدأ السائح يطلب تسجيل اسمه على هذه القطع ، مع أنها مكلفة . كما يقوم الحرفيون بصناعة هياكل أخرى من الذهب كرموز مثل "الخنفسة السوداء" وهي مثال على إعادة البعث ، و"الأنك" وهي قطعة صليب على شكل حرف T يرمز إلى الحياة والصحة ويعرف باسم " مفتاح الحياة " .

كما اشتهرت مصر بالعديد من المواقع المتميزة بإنتاج الحلي والمصاغ الشعبي المستوحى من التراث العربي والإسلامي مع احتفاظ كل موقع بمذاق خاص موزع على الخريطة الجغرافية لمصر من سيوه والواحات الخارجية والداخلية إلى محافظات الوجه القبلي والوجه البحري وشبه جزيرة سيناء لتكون جزءًا أصيلاً من شخصية المرأة في كل إقليم . ويقوم قسم الحلي والمصاغ الشعبي في مركز الحرف بوكالة الغوري بدوره المهم نحو إعادة صياغة الحلي التراثية القديمة .

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لدى الحرفيين والحرف :-

١. ارتبط نشاط الحرفي ارتباطًا قويًا بالتنظيم الحكومي للدولة المصرية، وكان الحرفيون يعملون في معابد الكهنة وفي داخل البلاط الفرعوني، كما لم يكن هناك تجانس في العمالة الحرفية سواء من حيث العرقيات أم من حيث اشتمال العمالة على حرفيين أحرار وأخرين أرقاء أو أقنان. فالأحرار لا يتساوون مع العبيد من حيث المعاملة أو العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ، وكان تباين مستوى المعيشة ونوعية الحياة لفئة الحرفيين تبعًا للتباين في الأوضاع الوظيفية فمستوى المعيشة ونوعية الحياة للحرفيين العاملين داخل أروقة البلاط الفرعوني أفضل ممن سواهم . (٢)

٢. كان العاملون في العصر الروماني في ميدان نسج الكتان الممتاز يمثلون أرستقراطية صناعية حيث كانوا يتوارثون المهنة جيلاً بعد جيل، وقد تعاون النساجون في تدريب أبناء بعضهم البعض من صبية وفتايات ، الأحرار منهم والعبيد وكان فترة التدريب

1- Denise Ammoun , Crafts of Egypt , Op Cit. , P14

٢ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧

من سنة إلى ثلاث سنوات ويمكن أن تطول الفترة لسنه أو سنتين إضافيتين، فهم تعلموا صناعة الفخار والأدوات المعدنية ومهروا في فن التطريز . وقد غطى رجال هذه الصناعات والحرف أهم الاحتياجات الضرورية لاستمرار الحياة اليومية .[١]

٣. قد كان للطوائف في العصر العثماني ناحية اجتماعية تهذيبية فأوجدت بين أهل الصناعة نوعًا من الارتباط والتعاون ، وكانت تحرص على أن تحفظ لهم مستوى معيناً من الأخلاق والحياة ، وفي بعض الأحيان أشرف رجال الإنكشارية على بعض الصناعات والمهن في مصر ، وعلى الرغم من أعمال الإشراف والتنظيم التي قامت بها النقابات إلا أنها كانت عاملاً من عوامل الجمود .[٢]

٤. إن الفتح العثماني الذي حول القاهرة من سلطنة إلى ولاية ، قد وجه ضربة قاضية لكثير من المهن الحرفية ، كما أن العمل في مجال حرف النحاس والخشب والخزف والزجاج وتجليد الكتب ، كان مزدهرًا في العصر المملوكي أما العصر العثماني فقد أصابه التدهور ، بسبب عدم الإتقان ورداءة تشطيب المنتج، واستخدام المواد الخام الرخيصة في الإنتاج وتقليد المنتجات الأجنبية ومن أسباب التدهور استيراد المنتجات الأوربية التي حلت محل منتجات أخرى لم تعد تعرف صناعتها بالطوائف المحلية.[٣]

٥. ويحدثنا التاريخ عن السلطان سليم الذي نقل الحرفيين المصريين ومنتجاتهم على ظهور السفن إلى اسطنبول فتوقف خمسون حرفة على الفور، مما أدى إلى اختفاء العديد من الحرف في مصر.

٦. شهدت مصر أثناء الحملة الفرنسية قيام بعض الصناعات الحرفية التي فرضت نفسها على ساحة المهن الحرفية في مصر، ولكن سرعان ما انهارت بعد خروج

---

١ - مانثالي لويس ، الحياة في مصر في العصر الروماني (٣٠ق .م – ٢٨٤ م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٥٠ – ١٥١.

٢ - ثريا نصر ، التصميم الزخرفي في الملابس والمفروشات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١١.

٣ - أندرية ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، ترجمه : ناصر أحمد إبراهيم، وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦٧.

الحملة من مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م) وذلك لأن المصريين لم يستطيعوا اكتساب فنون هذه الصناعات ومهاراتها لقصر فترة الوجود الفرنسي.[١]

٧. جاء عصر محمد علي ليشهد إنجازات صناعية واضحة وملموسة إلا أنها تركزت في المصانع الكبيرة دون اهتمام بالصناعات الصغيرة التي سعى إلى وأدها من خلال سياسة الاحتكار، حيث كانت الحكومة تمنح الصناع المواد الأولية بثمن محدد وتطالبهم بصنعها في مدة محددة ثم تقوم بشراء هذه المنتجات المصنعة بثمن بخس وتختمها بخاتم الحكومة لإحكام الرقابة وبالتالي تصبح أي سلعة لا تحمل خاتم الحكومة (سلعة براني) وتتعرض نتيجة لذلك للمصادرة، ولم تستمر هذه السياسة طويلاً فسرعان ما انهارت الصناعة المصرية مع نهاية عصر محمد علي بانهيار مشروعاته الطموحة بسبب التدخل الأجنبي. واستمر تدهور الصناعات خلال عصر خلفاء محمد علي بالرغم من إلغاء نظام الاحتكار نظرًا لزيادة الضرائب ومنافسة البضائع الأجنبية وعدم وجود حماية حكومية والافتقار إلى رؤوس الأموال وعدم توافر الخبرة والدراية الفنية.[٢]

٨ هيأت ظروف الحرب العالمية الثانية فرصة كبيرة لانتعاش الصناعات الحرفية مرة أخرى وكذلك ظهور صناعات جديدة فلقد قيدت ظروف الحرب من تصدير معظم السلع الأوربية إلى مصر، ومن ثم كان السوق المصري مفتوحًا أمام الأنشطة الحرفية والصناعات القومية لتغطية احتياجات المواطنين من مستلزمات وسلع خدمية.[٣]

٩. استمرت الصناعة المصرية في التدهور حتى جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي وجهت رعايتها واهتمامها ودعمها للقطاع الصناعي لأهميته البارزة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة، فلم تكن هناك قبل الثورة أية برامج أو خطط واضحة لرعاية ودعم هذه الصناعات الصغيرة باستثناء تدريب بعض الناشئين على بعض

---

١ - أنور عطية العدل، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية- دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينه المنصورة، مرجع سبق ذكره ص٢٥.

٢ - أنور عطية العدل، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية- دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينه المنصورة، مرجع سبق ذكره ص٢٦.

٣ - إعتماد علام، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير، مرجع سبق ذكره، ص ٩٦.

الصناعات والحرف المحدودة وبقيام الثورة بدأ عهد جديد شديد الاهتمام بقطاع الصناعة بصفة عامة والصناعات الصغيرة بصفة خاصة.[١]

١٠. ينبغي ألا يعيب عن الذهن أثر سياسة الاحتلال البريطاني الذي كان حريصًا على أن تظل مصر مزرعة للقطن الذي تحتاج إليه صناعه النسيج البريطانية وأن تظل مصر في نفس الوقت سوقا لتصريف المصنوعات الإنجليزية فهذه السياسة بطبيعة الحال كانت تشجع قطاع الزراعة مع إهمال قطاع الصناعة بصورة كلية [٢]

١١. مرحلة تطبيق النظام الاشتراكي (١٩٦٢ - ١٩٧٢) تميزت تلك المرحلة التاريخية بما حفلت به من قوانين ونظم أثرت إلى حد بعيد على الاتجاهات الإيجابية لفئة الحرفيين نحو المشاركة في المشروعات الصناعية في القطاع العام على وجه الخصوص وليس أدل على ذلك من :

أولاً: هجرة عدد كبير من أفراد تلك الفئة ، وترك حرفهم الأصلية والاشتغال في المشروعات الصناعية الكبيرة .

ثانيًا: انخفاض عدد الحرفيين المشتغلين في النشاط الصناعي الخاص.

ثالثًا: تدل إحصائيات عام ١٩٦٧ على انخفاض عدد المنشآت الحرفية في بعض مجالات النشاط الاقتصادي والتي كانت موجودة عام ١٩٤٧ مثل صناعة النسيج، وزادت عدد المنشآت الحرفية في عام ١٩٤٧ كصناعة الملابس والمنسوجات الجاهزة والأحذية.[٣]

١٢. إن القوانين الاشتراكية التي أعلنتها الدولة المصرية كانت لها أثر كبير في التحولات السابقة التي حدثت في فئة الحرفيين في مصر ، ومن ثم يتضح مدى تأثير العوامل السياسية في عزوف بعض أفراد تلك الفئة عن ممارسة الحرف واتجاههم نحو الاشتغال في شركات القطاع العام بنوعيها الإنتاجي والخدمي مما كلفته تلك القوانين من تأمين ومعاش وتعويضات في حالات العجز ، وقد يرجع انخفاض عدد الحرفيين المشتغلين بحرفهم الأصلية إلى عدة عوامل :

---

١ - أنور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية- دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينه المنصورة، مرجع سبق ذكره ص٢٨.

٢ - أنور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية- دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينه المنصورة، مرجع سبق ذكره ص٢٦

٣ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، مرجع سبق ذكره، ص١٠٢ .

أولاً: سيطرة الدولة واحتكارها لبعض المواد الأولية المهمة لصناعات الكبيرة

ثانيًا. اهتمام الحكومة بتنمية بعض الصناعات قوميًا مثل صناعات البترول والفحم وغيرها بهدف زيادة العائد القومي.[1]

١٣. من عوامل ضعف الحرف اختراق المنتج الأوربي. وقد يعد في بعض الحالات سببا وليس نتيجة لتدهور الحرف المصرية، وكان استهلاك الأقمشة الأوربية الفاخرة منتشرا في مصر منذ العصر المملوكي، ولكن في العصر العثماني انتشر بين السكان استهلاك الأقمشة العادية المستوردة من إنجلترا وفرنسا حتى بلغت قيمتها في نهاية القرن الثامن عشر أكثر من نصف قيمه الواردات المصرية من أوربا، وتحديدا بلغت ١٦٢ مليون بارة.[2]

١٤. لقد كانت القاهرة في أواخر القرن ١٩ م من أكبر المراكز الصناعية حيث تجمع الصناع في أحياء يختص كل منها بلون من الحرف، فتجمع في حي الجمالية صناع وتجار التبغ والعاج، وفي حي السكرية صناع وتجار الفاكهة المجففة وفي حي السروجية صناع السروج والبرادع والأحذية، وكان حي خان الخليلي مركزًا لبيع للأقمشة الشرقية والسحاد، فقد كانت هذه الحرف مقصورة على ورش خان الخليلي، التي يسودها نظام الصنية فهو يخضع للتقلبات الاجتماعية، فترتفع الأسعار وتنخفض الأجور وتسوء الصنعة تحت ضغط السرعة وتختفي أنواع من الحرف، حتى إن معظم شيوخ الصنعة كانوا لا يجدون عملاً، من هنا برزت فكرة إنشاء مشاغل للحرف التقليدية بوكالة الغوري سنة ١٩٥٨، باعتبارها من معالم هويتنا المحلية.[3]

الخلاصة :-

إن حاجة الإنسان للحرف وضرورة إشباعها أدت إلى ظهور المنتجات الحرفية، ومن هنا تكونت المجتمعات وتعددت معها الحرف مثل حرفة الفخار والمعادن والمنسوجات والجلود ...وغيرها.

---

١ - إعتماد علام، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير، مرجع سبق ذكره، ص١٠٤.

٢ - أندريه ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، مرجع سبق ذكره، ص٣٦٩.

٣ - المرجع السابق نفسه، ص٢٦، ٢٧

وقد تعتبر الحرف التقليدية السمة الأولى للجانب الفني في الثقافة الإسلامية ، التي وصلت بها إلى أقصى درجات الكمال حيث يتم اللقاء السعيد بين المتعة والمنفعة والفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، فقد أصبح هذا النشاط الإبداعي الفريد رمزًا لسحر الشرق ، حيث يصل فيه العمل اليدوي إلى درجات عالية من الجمال والاتقان . كما تبين أن القيم الجمالية التي وصلت إليها مواهب الحرفيين المصريين ، تناظر ما وصل إليها أقرانهم من التشكيليين .

وينبغي أن نشير إلى أن الحرف المزخرفة :

(كالمشغولات النحاسية كالصواني والأواني والأباريق بالحفر والتطعيم والتكفيت بخيوط الفضة ، والزجاج الملون المعشق بالجص أو ما يسمى " بالشمسيات " و"القمريات" وهي نوافذ علوية تنفذ من خلالها أشعة الشمس هادئة بهيجة فتشيع جوا من الراحة والهدوء ، والتطعيم بالصدف الذي يدخل في صناعة علب الحلي وما يسمى بالشكمجية على درجة عالية من الدقة) ، تعمل على الجذب السياحي من خلال المهرجان الدولية ، حيث يقوم الحرفيون المصريون المهرة بعملهم المثير أمام جماهير المحبين في الدول التي يذهبون إليها في أوربا وأسيا ، وقد استضافت مصر لأول مرة عام ١٩٩٥ المهرجان الدولي " للحرف التقليدية " وأقيمت ندوة دولية في تلك المناسبة ، وفي العام التالي سنة ١٩٩٦ استضافت المركز القومي للفنون التشكيلية المهرجان العربي الأول للحرف التقليدية ، وفي خلال الندوة التي عقدت على هامش المهرجان تبلورت الخطة الإستراتيجية لتنمية تلك الحرف في الدول العربية .

لا شك أن العصور التي عرضنا لها في هذا الفصل رسخت منحنى الارتقاء والانحدار في مجال الفنون الحرفية ، ويعتبر العصر الفرعوني والعصر الفاطمي وعصر محمد علي من العصور التاريخية التي تركت بصمات إيجابية سواء في الجوانب السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية على المجتمع المصري ، بعكس العصر العثماني وفترة الاحتلال البريطاني وغيرها، والتي شكلت الانهيار تحت وطأة الأزمات الاقتصادية، وكانت منعطفًا رديئًا في الإنتاج الفني وتدهورًا كبيرًا في الحرفة المصرية .. وهذه الأحداث التاريخية لم تمنع من وجود الشخصية المستقلة للحرفي المصري .